جريمة لا يسجنها قانون

مجموعة قصصية

مودة أحمد المحمدي

اسم الكتاب: جريمة لا يسجنها قانون

اسم الكاتب: مودة أحمد المحمدي

رقم الإيداع: 10652 / 2019

الترقيم الدولي: 978-977-835-115-6

الطبعة الأولى: 2019

إخراج داخلي: هيام فهيم

صادر عن: مؤسسة زَحمَة كُتَّاب / ميسون

زحمة كتاب : 15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

ميسون : الوراق – 36 شارع رحاب الإيمان

www.za7ma-kotab.com

دار زحمة كتاب للنشر

za7ma_kotab_publishing

za7ma-kotab@hotmail.com

maysoonpublishing@yahoo.com

01205100596

لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأيّ طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من المؤلفة.

جريمة
لا يسجنها
قانون

الإهداء

إليكِ يا أناملي .. ها أنتِ اليوم تحملين نجاحَكِ بين يديكِ؛
لتعلني للبشريَّةِ أنَّ المُعجزاتِ موجودةٌ بين يدينا.
إليكَ يا قارئ أحرفي هذه ..
ربما تُلامِسُ جدار قلبك فأكون قد خفَّفتُ عنك ما كنتَ تودُّ قوله.
إليك محبوبي ..
تبخترْ بين صفحاتِ مودَّتك، لقد خُطَّ كلُّ حرفٍ هنا لأجلك.
إليكَ أيُّها العاشقُ ..
تجوَّلْ بين زنزانتي وتحقَّق من جريمتي لربما تخوضها يوماً.
إليكِ أيتها العاشقةُ ..
سيري على نهجِي ونهجِ من باتوا على وسادتهم باكين،
فسوف يكتب التاريخ عظمتك وصبرك في تاريخ الحب يا عظيمة.
إلى كل وليٍّ عاقلٍ وكلِّ موكِلٍ: دع ذويك يكملوا طريقهم نحو اختيار
الشراكة في الحبِّ ولا تهدمها لهم باختيارك لهم.
إلى كلِّ من تأخَّر عليها جموح الحبِّ لقلبها وباتت حزينةً:
أعدك بزيارته، فلا تتركي نفسك ضحيةً لأقوال الناس
معلنةً الزفاف لهم حتى يكفُّوا عنك.

إلى كلِّ صغيرٍ لم يكبر بعد .. ليتني مكانك يا صغيري ـ
الحياة مليئةٌ بالتحديات حينما ينضج عقلك.
إلى ساهرٍ بات السهر على لقاء حبيبه الذي لم يعدْ ..
انهض على كاحليك وتعلم فلسفة الانتقام فسوف تتلذذ بذلك.
إلى كلِّ شخصٍ يظنُّ بأنه عائقٌ بين حبيبين ..
اترك عنك سخافاتك يا صغيري،
الحبُّ لا يوقفه قانونٌ، أستوقفني أنت؟
إلى كل من راودهم الحبُّ بعدما قُبعوا في مقبرةِ الزواجِ ..
أخفضُ لك رأسِي أسفاً على ما حدثَ، لقد ظلمك الآخرُون
عندما اختاروا لك شريكاً تقليديَّاً لا نصفاً لك.
إلى الذين يقيمون حملاتٍ لإيقافِ الخيانةِ الزَّوجيَّةِ ..
دعوا العشاق في شراكتها تكمل حتى لا نفتتِح مدينةً تُؤوي حقوقهم
بعدما يظلم الآلاف منهم.
إلى قانون دولةٍ وإلى كرةٍ أرضيَّةٍ بكامِلِها ..
أنا لا أُجبر على اختيارِ الصُّدف لطريقها،
ولكن أنا من تصبر حتى تجبر الصدف على الاستسلامِ.
إلى هذا العالم الكبير .. أمامكم وليدي الثاني:
(جريمةٌ لا يسجنها قانونٌ).

مقدمة

عزيزي من أمسكتَ الكتاب بين يديكَ ..

أقدِّسُ لكَ اختيارَكَ وشغفكَ بعنوانِ كتابِي هذا .. أوصلْ لأعينكَ منّي تحيَّةً وسلاماً لاختيارها قراءة وحبّ التعمُّق بين زنزاناتِ صفحاتِ كتابي.

أعلم بأن الفضولَ ينتابُك حول موضوعِ هذهِ الجرِيمة التي تعلو الغلاف. سأتلوكَ يقِيناً بجرِيمتي وأنصب في قلبك أوتاد السير لها، لذلك مرحباً بك في زنزانة الأبرياءِ.

هنا فتاةٌ جعلتْ للحبِّ رايةً لن تسقط .. هنا روحٌ صغيرةٌ كبرتْ بينَ غفواتِ الحبِّ، فاحترفتِ الصَّبرَ وتجرّعتْ ألمه فداءً للحبيبِ. هنا فتاةٌ تعبثُ بجريمةٍ لذيذةٍ .. جريمةٌ لا يمكنُ حصرها داخل زنزانةٍ أو محاكمتها.

ما بينَ صفحاتِ كتابي ستجد بأنَّا قومٌ لا نستسلمُ للقانونِ، ولنْ نسَّلمه كفوفنا ليقبض علينا بكلِّ راحةٍ. نحنُ من نتقدَّم لننتقمَ وننتصرَ: إمَّا الحبُّ وإمَّا الموتُ. نحنُ لا نتخيَّرُ الانسحابَ كما يفعلُ الفاشِلونَ مخافةَ قانونٍ أو مجتمعٍ.

لقدْ وُلدنا وكانتْ صفحتنا بيضاء لا يملؤها سوى الزهرِ والبراءةِ، ثمّ إننا كبرنا وتقدَّم بنا الحبُّ ليعلنَ مجيئه ساكناً قلوبنا فأعلنَ الجميعُ حكمه ضدَّنا بأنّا منْ نرتكبُ الجرائمَ.

ليكنْ حكمهم القبضُ على تلك الجريمة، ولتلحقنا قواهم في كلِّ مكانٍ، نحنُ في أساليبِ الحبِّ مَرَدَةٌ لا توقفها ضعفُ البَشرِ.

إليكَ يا قارئي لبُّ كتابي هذا، لعلّك ستتساءلُ عمّن أقامَ الحربَ ضدَّنا؟ وما الذي دفعنا لأنْ نحيا خلفَ زنزانةٍ أرضيتها سوداء، وسقفها ممطرٌ أملاً من السَّماءِ.

نحنُ عشّاقٌ سهرنا في حافلةِ الحياةِ حتَّى اصطدمنا بقانونٍ دوليٍّ يودُّ أن يُوقفَ تلكَ الرِّحلة. نحنُ منْ بدأنا رحلتنا سويَّاً ونحن منْ سينهيها لا تلك القوانين البائسة. نحنُ من أشعلَ فتيل بركانٍ لا يقوى عليه إنسٌ ولا جانٌّ، ونحنُ منْ سنتصدّى لتلك القوانين حتَّى نكمل رحلتنا نحو القطبِ.

إليكِ أيَّتُها القوانين وإلى كلِّ منْ أراد أنْ يُوقفَ طريقه في مغارةِ الحبِّ خوفاً من القوانين وكلِّ خزعبلاتِ مجتمعنا هذا:

الحبُّ معركةٌ لا يكملُ داخلها إلا الرجال. الحبُّ أسطورةٌ إمَّا تُحكى فتبتسم وإما تُترك فتهدم. الحبُّ مُسلسلٌ إمّا أنْ يموتَ أبطاله سويّاً أو يتنعَّمونَ بأحضانهم مدى الحياةِ، وفي كلا الأحوال هذه الخياراتِ.

ستكتبُ لكَ تاريخكَ يا عزيزي .. لأنّ هذا المسلسل لا يختار لتمثيله إلا المحترفون.

الحبّ مجزرةٌ فيها صبرٌ وألمٌ .. الحبّ وعدٌ إمّا أنْ يُوفى به .. وإمّا أن يُقطعَ عنقُ من يودّ الانسحابَ منه بعد اندماجه داخل أهوائه .. الحبُّ كيانٌ يجمعُ حنايا صاحبه.

الحبُّ أعمى لذلك فهو لنْ يُفرّق بين صغيرٍ وكبيرٍ، وأبيضَ وأسودَ، لنْ يُفرّقَ بين شيبةٍ وشبابٍ ومُتزوّجٍ وأعزب.

الحبُّ قدرٌ كالموتِ محتّمٌ على جميعِ القلوب، فإنْ كنتَ تبحثُ عنه داخل مقبرة الزواج أنتَ خاطئ، لربّما يزوركَ الحبّ بعدما تقبعُ في شراكتك الزوجية فتضطّر إلى الهروبِ من سجنك واللجوءِ لمحبوبك.

الحبُّ سجنٌ يسجنُ قلبَ صاحبه بشريكه، تلك الزنزانةُ لاتستطيع حبس مُجرمٍ بداخلها كان حبُّه بدائياً ومجبراً على الحبِّ.

تلك الزنزانة لا تستضيفُ بداخلها إلا عشّاقاً خاضوا جميعَ مراحلِ اللعبة ولمْ ينتهوا بعد، فهم على أشدِّ الاستعداد لما سيأتي من مراحل.

قارئي .. إليكَ بَوْحي من داخلِ زنزانتي وإليكَ تحيَّتي ومعصمي مكبّلاً بنزيفِ الحبِّ. إيّاكَ وأنْ تظّنَّ بأنّ تلك الدماء التي تنزفُ نثراً وأدباً قدْ تتوقَّفُ يوماً،لن تتوقفَ يا قارئي إلاّ بعدما تُعلنُ الانتصار.

إليكَ يا قارئي، وإلى دولتي التي سأحكمها قريباً، إلى دستورِ دولتي القادم .. سأجعلُ الحبَّ في دولتي سلاماً ملكيَّاً لا يجهله أحدٌ.

إلى كلِّ تلك القوى التّي تلاحقُ عشقي هنا ..

جريمةٌ لا يسجنها قانونٌ ..

الغِيابُ لا يُكتبُ مرَّتينِ

إلى تلك التي أهواها ولم أعشق سواها، بدأ هذا العشق بنظرةٍ وانتهى بكلمةٍ، ولم يلبث حتى عاد مرةً أخرى بنظرةٍ.

بعد فراقٍ دام ما يقاربُ الأربعة أشهرٍ إذا به يأتي إليها بشوقٍ غلبهُ، لم يستطعِ الغيابَ أكثر من ذلك فقرَّر أن يتحدَّث إليها، وعندما أنهكه شوقه أكَّد عليه الحنينُ بأن يزورَ صدرَها بكلماته، أرسل رسالته إليها بانتظارِ أحرُفِها وأسلوبها في الكلامِ ولكن ..

تحدثتْ إليه أختُ الفتاةِ وهنا كانت الصدمةُ، سألها عن فتاتِهِ فقالت دون أيِّ أحرفٍ: ادعُ لها، صمت للحظةٍ وطال صمتُهُ، لم يستوعب ما قالته فقال: ماذا؟ قالت: ادعُ لها إنها مريضةٌ تبيتُ تحت ستائر المشفى.

حزن الشاب حزناً شديداً، كان في غاية ندمِهِ لما حلَّ بها عند فراقه لها، قال لها بكلِّ حزنٍ: أَأَستطيع أن أتحدَّث إليها؟ فكان جوابها: لا إنها نائمة، فقال لها منتظراً: أبلِغيها سلامي وأني أدعو لها بالشفاءِ العاجلِ، لم تمضِ سوى ساعات قليلة إذْ بها تحادثه فقالت له: لقد بلغني سلامُك وإنّي بخيرٍ، سررتُ باهتمامك.

فرح الشاب غاية الفرح؛ لأنها بخير وتلبسَّه غايةُ الندمِ لما حل بها بسببه، هنا لم يستطع أن يوصف ما بداخله من ندمٍ لأنه كان السببُ في مرضها، قال لها مُتشوِّقاً: اشتقتُ إليكِ كثيراً، أجابته وهي في ذهولٍ من المشاعر: لماذا إذاً ذهبتَ؟ فقال لها: إنك لم تفارقيني ولو للحظةٍ، ردَّت عليه فكان حديثها أشقّ من جبلٍ هُدم على بيتِ صاحبه: أتدري؟ إني أدعو الله أن تذوقَ ما أذقتني إياه، صمت الشابُّ لوهلةٍ لم يستطيع الردَّ، فقد تفاجأ بدعائها عليه، تأملَ كلَّ كلمةٍ قالتها له في الماضي: أحبك، اشتقت إليك، لا حياة لي دونك.

سأل نفسه هل يعقل ما سمعته؟

قال لها بعجبٍ وألمٍ: اعلمي جيداً أني أحبك وأني لن أبتعدَ عنكِ ما حييتُ.

استجاب الله هذه الدعوةَ من الفتاةِ فحاول هذا الشابُّ لأسابيع أن يسترجعَ ثقتها به ونجح في عودته لها فاحتضنته مُجدَّداً ولكن لمْ يكن يعلم ما وراء هذا الاحتضان.

لم يكن يعلم بأنها تريد أن تحرقه بنفسِ نارِ الحُبِّ التي حُرقتْ بها، عندما أحسَّ بتغير مشاعرها له جُنَّ جُنُونه بقوَّةٍ، لم يعد يرى

سواها أمامه، لم يكن متأكِّداً من تغير مشاعرها فكلَّما أتاها بحبه أجابته وأنا أحبُّك لكن شعور التغير لم يفارق حسّه ابداً.

كانت في برودٍ من المشاعر، فقد ثبت له بأنه يقرأ كلاماً فقط، لم يعد يشعر بمعناهُ كما في الماضي، عانى الشاب معاناة هذه الفتاة بعدَ مرورِ الشهور.

تعبَ ومرضَ وهوى وحزنَ وهو يحاول الوصول إلى قلبها تارةً أخرى، كانتْ تستخدمُ أساليبها فتضع صوراً لرجلٍ أوهمته لعاشقها بأنه محو اهتمامها، كانت تقف إلى جانبه وهي في قمة السعادة، جُنَّ جنون عاشقها ولم يستطع التحمُّل ولا زال غير مطمئنٍ لما تفعله، فسألها مراراً: لماذا تفعلين هذا بي؟ وكانت دائماً تجيبه بنكرانٍ: لم أفعل شيئاً بك، سكت الشاب إلى أنْ حان احتفالٌ كبيرٌ شهدته المدينةُ وشاركت به فتاتُهُ، وعندما علم قرَّر الذهابَ إليها بعد انقطاعٍ من برود مشاعرها.

ذهب الشابُّ ولم يكن يسكنه عقلٌ من سيطرة لهفته عليها، قرَّر بمواجهتها وسؤالها، هل لا زلتِ تريدينني أم لا؟ دخل الفندق ولم يستطع الدخولَ إلى الحفلِ لأنه ليس من المدعُوّين فقرَّر أن ينتظرَها حتى تخرُج وعندما رآها لم يستطِعِ الاقتراب منها.

نظر إلى عينيها بحرارةِ الشَّوقِ المُميتةِ، رفعتْ رأسها ونظرت إلى هيبةِ وقفته، ابتسمت بحنينٍ أضعف جبروتَ مُكابرتها عن الرّجوع، ظلَّ ناظراً في عينيها وكأنَّ ناراً كبرى أطفئت بداخله.

هو اللقاءُ الأوّلُ يا قارئي بعد الفراقِ الكاذبِ، حادثها أتريدينني أم لا؟ بكت فتاته بكاءً شديداً.

فقالت: أخاف أن أعود إليك ومن ثمّ تذهب.

فأجابها بنبرة حبٍّ: لو كنت أودّ الذهاب لما كنتُ عدتُ.

الغيابُ لا يُكتبُ مرّتين محبوبتي. لكنّني عدت من شوقي إليكِ، لم أستطعِ الغيابَ ولم أقوَ عليه، أهدأ من قلبها فرجته برجائها: أرجوك لا تكسر قلبي مرةً أخرى لأنّي لا أحتملُ غيابك.

العشق الذي يرغم الإنسان على الوقوع فيه مهما كان منصبه وجبروته جميلٌ، حينما يقع فيه ويعلم جيداً أن قلبه ليس ملكاً له بل لغيره.

الغيابُ الذي يتبعه عشقٌ صادقٌ لا تركله مخذولاً إلى قلب حبيبك، ربما يكن الغيابُ محطة حبٍّ جديدةٍ.

مسكنُكَ في مودَّتِكَ

أنا أخافُ عليهِ من كُلِّ شيءٍ، أخافُ عليه من نوائِبِ الدُّنيا أن تُصيبَ جسدهُ، أخافُ أن يسكنَ صدرهُ ضيقٌ، لا أُصيب صدرك محبوبي، أخاف عليه من وساوسِ الشياطين وإنّي لأخافُ عليه، وأخشى عليه يا ربُّ أن تُؤخِّر له دعوةٌ دعا بها فتصاب عينهُ بدمعٍ عاجزٍ.

أنا لا أخشاك تذمُّراً يا إلهي ولكنّي أخشاكَ رحمةً بقلبه حينما يقفُ إليكَ داعياً مُرتجياً فتؤجِلَ له دعواه فيصيبنا السقم؛ لأننا بشرٌ ووحدكَ يعلمُ أنَّ بني آدم في الحُبِّ يكنْ هوانه كبيتِ العنكبوتِ أو أشدَّ وهناً.

لَتَدْمع عيني حينما تراه يناجي أمامَ الكعبةِ: أنْ ربِّي إنّي لفي بيتك ودارك قرِّبها إلى قلبي، أنّي أتيتكَ ساعياً في نهاري تاركاً نومي وغفوتي لأجلِ أن تستجيبَ لي، لقدْ وقفتُ أمام كعبتكَ المقدّسة وسمع ندائي طُوَّاف البيتِ المعمُورِ، سمع بكاء سجودي ملائكةُ سمائِك حتَّى باتت جميع الملائكة تؤمِّن ورائي وتُردِّد: ربِّ استجبْ.

ردَّدَتِ الملائكةُ خلفك أيُّها الجندي وبِتُّ خلفكَ أردِّدُ سجاياي إلى إلهي، وحده في السَّماءِ يعلمُ أنّي أحبُّك فيه، هوَ أكثرُ المستمعين لي في حبِّك لأنّني دائماً أذكرك عنده.

هوَ وحدهُ من أمر قلمَ الأقدارِ بأنّ يخطَّ لي لقاءك والاستهام في حبِّك، وهو وحده الذي سيجمعنا بعدَ حبٍّ دام أعواماً، كيف نخشى من جمعنا ونحن في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها لا نعرفُ بعضنا؟ أتخشاه بعد ذلك الجمعِ ألَّا يجمعنا ونحنُ عاشقانِ ظنّا ألا تلاقيا.

لمْ أسهُ عن كلِّ مرَّةٍ ارتديتَ فيها بدلتكَ العسكرية والتجأتَ بدعائكَ من أجلي تاركاً مهمّتك خلفك أمام مودتكَ.

لا تقلق على مسكنكَ في مودّتك، لقد خُلقتَ داخلي وكأنّك طفلٌ وسط أحشاءِ أمِّهِ.

حيتانةُ قلبِكَ

لقدِ كانتِ المدينةُ ذاتها التي وُلدنا فيها سويّةً، ذاتها الأرضُ التّي نسير فوقها، ذاتهُ الشارع الذي جمع خطواتك جمع خطواتي، لقد جاورتك مراراً وجاورتني مراتٍ متعدِّدة لكنَّ أرواحنا لمْ تلتقِ آنذاك.

كنتُ طفلةً تلهو، لمْ يكنْ في همومها أنها ستكبرُ وتعشقُ بعدَ فواتِ الأوانِ، لمْ أعدَّ لليومِ الذي سأجهدُ فيه من روحي لأنها تتشاركُ مع أنثى أخرى فيمن تحبُّ، عتابي لتلك الأرض التي باعدتْ بيني وبينك حتَّى بلَغتُ رُشدي ولمْ يَخطّ القدر في سطوره أنَّك لي.

ليتها كانتْ تعلمُ أنّي انتظرتك طويلاً منذُ كنتُ في المهدِ صبيّةً، ولو كانتْ تدري أنّي سأحبُّك بعد فواتِ الأوانِ، لِمَ اختارتْ عليَّ مهالكَ الطريق؟

أشعرُ وكأنّي أنا المذنبة لأنّي لمْ أولدْ باكراً.

كنتَ رضيعاً حينما كنتُ نطفةً.

كنتَ طفلاً حينما كنتُ رضيعةً.

وكنتَ شاباً حينما كنتُ طفلةً.

وها أنا في شبابِي بحثتُ عنكَ فوجدّتك أباً.

لقدْ جمعتنا الأرض فرأيتكَ مملوكاً لأنثى غيري.

إنّ الهوي من أعلى جبلٍ كاحلِ الظلمة على أرضٍ صلبةٍ سوداء أهون عندي من مشاركةِ أنثى في رجلٍ أحبَّه قلبي.

لقدْ أشفقتِ الأرضُ علينا متأخرةً فكانتْ شَفَقتها عذراً أقبحُ من ذنبٍ، لقدْ زادتْ من غيرتي وضجيج حُرقتي وزادتْ من ندمكَ على كلِّ ما يفوقُ استطاعتك.

وما الأسوأُ من أن أتشاركَ في رجلٍ أحببته مع أنثى أخرى؟ وما الأسوأُ بأنّك تجد نصفكَ الآخر بعد أن تكون دخلتَ مقبرةَ الزّواج؟ كلانا لا يستطيعُ التغيير في تلك الأقدار لأنها وقعتْ وباتتْ واقعاً مؤلماً مهما، رسمَ الخيالُ لنا جنَّةً خضراءَ، لقدْ جمعتنا الأرضُ بعد أن رسمت طريقاً لكلٍّ منَّا وفجأةً دون موعدٍ أحسّت بأنَّها مُذنبة في حقِّنا، وأنَّنا منذُ البداية من المفترضِ أنْ نكون مُلكاً لبعضنا ثنائياً لا ثالثَ لهما فجمعتنا، يومياً أقفُ حائرةً أصفُّ صفوفَ المتَّهمين بأخذكَ منِّي ومنعنا من أن نكون لبعضِنا منذُ البداية، أهيَ الأرضُ التِّي تباعدت في انطوائها فلمْ تجمعنا في نفسِ المكانِ؟

ولكنّي أراها جمعتنا ألفَ مرَّةٍ، لقدْ كنتَ جاري.. تخطو نفس خطواتي ولكنّ أعيننا لم تلتقِ، أمْ أنَّ الدنيا خدعتك بأنَّك وجدْتَ أُنثاكَ فسرتَ خلفها دون علمٍ منكَ بأنَّك بعد لمْ تجدْ نصفك الآخر؟ أمْ أنَّ القدر أبى أن يجمعنا إلا بعدَ حدوثِ كل هذه الأحداث؟

لقدْ صافيتهم مِراراً وتِكراراً وفي كلِّ مرَّةٍ أجدُ نفسي لا تجدُ مجرماً بحقِّنا سوى دنوِّ الدنيا التي لمْ تجمعني بكَ قبل فواتِ الأوانِ.

لقدْ مكرتْ مكرها فأهدَتني إياك بعدما شققتَ طريقك في شراكتك الزوجية وسرتْ فيك، فكنتُ ضحيَّةً لمكرها عاشقةً لك لا تقوى على الانسحاب، أتدري ما إعجازُ قصتنا هذه؟

لقدْ عرفتك عاشقاً ووجدتني لك عاشقةً، منذُ اللّحظَةِ التي وقعتْ بها عيني بعينك أحسستُ وكأنّي وصلتُ لمُرادي، وكأنّ قلبي سجد شُكراً لخالقه لأنَّ نصفه أصبح مكتملاً، لقدْ عشقتكَ منذ أوَّل وهلةٍ.

أيَّاً تضربُ الدُّنيا بظروفها سأكونُ معك، أوَ تحسبُ أنَّ جبروتي يخضعُ لمرزآتِ الحياة؟ كلّا فإنَّه في غُرُورِهِ أشبه بحوتٍ يأبى أن يخرجه صيّادٌ ماهرٌ من بحرِهِ.

قلبكَ بحري ومسكني، قلبكَ محيطٌ تسكنُ به حيتانةٌ في جبروتها قويّة، يكفي بأنَّها كلما حرَّكتْ ذيلها بمشاعرها داخلك اهتزَّ هذا البحرُ لها رافعاً أمواجهُ سلطنةً من حبِّها، أوقنُ بأنّي سأبيتُ في حضنكَ أمداً طويلاً وقبل أنْ يحينَ المشيب.

ينقُصُني وَتَرٌ

أنْ تصلَ إلى قمَّة منتهاكَ من التعبِ هو أن تبتسمَ للخيبةِ التّي تحدث بداخلك حينما تتأمَّلُ وتتأمَّلُ ثمَّ يغلبك الانهماك في معركتك الداخلية، أنْ تُقوّي نفسك المنهكة بعد عدّة مراتٍ من السقوط ثمّ تسقطُ مرةً أخرى، أنْ تُطمئنَ نفسك بأنّ الفوزَ ونَيْلَ المرادِ لها ثمَّ تفاجئك الدنيا بردِّها القاسي فتخبركَ بأنَّك ستحيا في ذعرٍ دائمٍ.

ستغفو وتصحو على أوتارِ القدر خوفاً من أن ينقطعَ وترٌ في منتصفِ الأغنية.

أنتَ كاركترُ أغنيتك الذي لا حيلة بيدك لإنتاج هذه الأغنية.

لقدِ اختارتِ الدنيا ملحنَها واختار ملحنُها أدواته وأوتاره، إمَّا أنْ تراه يستمرُّ في عزفهِ لك أو ترى إحدى الأوتارِ قد انقطعت فتبيتُ أغنيَّتكَ معزوفةً حزينةً للأبدِ.

أشعرُ بنقص ذاك الوتر وتأثيره السِّلبي على المعزوفة لأنَّ حياتي ينقصها وَتَرٌ أساسيٌّ دونه لن تكتملَ معزوفتي.

يا إلهي على هزيمةِ الحُرُوبِ التي تُوقدها غَيْرَتُنا نيراناً ولا تستطيع بحارُ الكونِ جميعها إطفاءها، ولو أنَّك يا قارئي حَيِيْتَ ساعةً من غَيْرَتي لقلْتَ كيف لابنة حواءَ ألا تموت بعدما تجرعتْ بحراً كاملاً من السمِّ.

أنا منْ وقفتُ بوجه هذا البحر فتجرَّعته ملعقةً تلو الأخرى، في كلِّ مرةٍ رفعتُ ملعقتي أخبرتُ نفسي بأنها الأخيرة التي سيزولُ معها وَهَنِي، ولكنِّي أرى أمواج السُّمِّ تتزايد، يكادُ البحر يتوالد ماؤه، وهمّي لمْ يَزل متشبِّطاً في أضلعي.

رجوتكِ الشَّفقة وأنا التي لا تنحني لسلبياتك.

رجوتكِ الّرحمة وأنا التي لا يهمها سلطتك من خضوعك.

رجوتكِ وأعلمُ أنَّ المعركةَ بعدُ لمْ تنتهِ لربما تشعرين بذنبك حينما أخطأت في تصويبِ رماحكِ الصارمةِ عليَّ.

أنتَ بصِيرتي

مُدّ لي يديك، خُذ من عنقي شريطتي السوداء، الآن ضعها على عيني وأحكِم ربطها حتَّى لا أعدْ أرى شيئاً، لا تنتظر منِّي أن أطلبكَ نزعها بعد دقائق أو ساعاتٍ، اربطها للأبدِ عاشقي ولا تتردد في إحكامِ العُقدةِ؛ لأنّي عُميتُ أصلاً عن هذا العالمِ حينما رأيتك، ستتساءل كيف لي بأن أرى الحياة؟

أجيبكَ فرحةً محتضنةً يديك: لقد رُزقتُ الحياةَ كلّها حينما أحبَّني قلبك، فجعلني أنثاهُ من بينِ إناثِ الأرضِ جميعهنَّ، لِتبقَ ربطة عنقي على عيني لا أحتاجُ النظر، أنت بصيرتي وعيناي، أنتَ مسمعِي وملجأي إن توقفت حواسِّي، أنت الذّي سكنَ جسداً كان خاوياً من الرُّوحِ، حتَّى إذا ما سكنته وهبتَ الحياةَ له مرةً أخرى.

خُذْ بيدي على ذراعك ولا تتركها أبداً، لقدْ تمسَّكتْ بك فتمسَّكْ بها حتَّى المشيب، سيراني الكثيرون بالعصبةِ على عيني فيشفقون عليَّ ظانِّين بأنّني لن أرى طريقي ولا يعلمون بأنَّني عُميتُ عن الدنيا فوهب الله لي الجنَّةَ، أريدُ أن أكونَ أنت.

أريدُ استنساخك داخِلِي، سأتَّبع خطواتك حينما تمِل يميناً سأكونُ يميناً، وحينما تودُّ أن تلتفتَ وراءك ستجد يداي تحتضنكَ خوفاً عليكَ من أن يكون خلفكَ حجرٌ صغيرٌ فيؤذي قدمك وأنا لا زلتُ حيَّةً، ستكن العُصْبَةُ على عيني لكنّي سأكونُ مُنتبهةً لك أكثرَ من نفسِكَ، العُصبةُ تُعميني عن الدنيا لكنَّها لمْ تحجبِ الجنَّةَ عنّي؛ لذلك لا تخشَ ظُلمةَ عُصبتي، سيكونُ لديَّ ضياء حبِّكَ، أنا لا أكتفي بعيني فقط.

احتضِنّي تحت جناحيك ولا تكفَّ عن التفاف أجنحتك حولي، لتكن قدماك قدمي لأنّي لا أهوى السيرَ على هذه الأرضِ دونك، وأتعلم؟ لتكن رئتاك رئتاي كيْ لا يتسابقَ نفسُ أحدنا الآخر.

أنتَ طريقي حينما تتعرَّج كلُّ الطّرقِ.

أنتَ عافيتي حينما يكون الجميعُ سقمي.

أنتَ الذّي ملكتَ مودَّتي فأمسيتُ لكَ مودّةً تحيا على وصالِكَ.

طاغيةٌ في سُلطتِها

خبئني بين قلبِك لكي يهدأ قلبي من ضجِيجِ العالمِ، خبئني داخل عينيك واجعلني ملكتك التي لا تتنازل عن ملكها، خبئني بين ذراعيك أمام الجميع ولتعلنَ لهم حبَّاً على على قيادةِ الدولةِ.

أنت من أهديتني عرش حبّكَ، وبسطتَ لي سجاداً أحمرَ في الوصول إلى قلبك، أتظنُّ بعد ذلك تهاوناً منّي في هذا الحكم؟

سأكونُ طاغيةً في السلْطة يا عاشقي، سأمحي جميع من سكن قلبك ولن أدعَ الطارقين بالدّخول أو حتّى النظر إليك، أتدري إلى ما وصلَ طغياني في حبّك؟

سأقفُ في منتصفِ قلبِكَ، في منتصفِ أورِدتِك وشراييِنك وأمنع دم جسدك من العبور والوصولِ إلى قلبك، لأكون أنا وحدي من يُحْيِي قلبك، لا تخشَ على قلبِكَ من الموتِ، سأسكبُ له كلَّ دمِي، سأجعلُ من وريدي نهراً يسكبُ حبَّاً لنصفه الآخر.

لمْ يُجنَّ عقلي فحسب، لقدْ وصلَ بي الجنون مراده ولمْ يكتفِ بعد، فقد وعدني بأنَّني لن أكون مُلْكَ نفسي في التفكيرِ يوماً، وأوقنُ أنني الآن يا سادة لمْ أعدْ أملك السيطرةَ على نفسي، لئن قالَ لي

سأقتلك لقلتُ له: وددتُ لو أنني سلاحكَ لألامس يديك، وإن قالَ لي سأسجنك لقلتُ له: أنا العاصي في أمرك وحقُّ العاصي السِّجنُ للأبدِ، إنَّني أرى جحيمه فردوساً أخضرَ لئن كانَ في حبِّه جحيم.

يا سائلَتي عن الحبِّ ماذا أفعل؟

أجيبكِ وأنا كلّي أسفٌ عليك، ربما ستقعين في الحبِّ لكنَّك ستكونين في عدادِ الأمواتِ؛ لأنكِ ستعشقين رجلاً كاذباً أو شبه رجلٍ.

لأنكِ ستضحِّين كثيراً لكنك لن تجدي مردود تضحيتك تلك.

لأنكِ ستبكين عشقاً ليلاً، حينما يكون الناس نياماً ولكنّ دموعك لن يكون لها مجيبٌ.

لقد انقرضَ الرِّجالُ منذُ طمعِ إبليسُ في شجرةِ آدمَ، لمْ يبقَ غير الذي خبئني بين قلبه، هنيئاً لي يا عرب حينما أحبَّني، وبؤساً لإناثِ الأرضِ من بعدي في الحبِّ.

تحتَ أجنِحةِ حبِّكَ

عزمتُ الرَّحيلَ إلى القطب آكدةً رحيلي عن ضجيجِ المدينةِ، حيثُ الانتهاء من مسكنِ البشريَّةِ ورائِحةِ النِّفاقِ، أودُّ أن أضعَ قدمايَ على مدينةٍ لمْ يسكنها بشرِيٌّ؛ لأنّي أوقنُ بأنّ الفسادَ لا يُولد من حيوانٍ ولا جانٍّ، بعيداً عن أصواتِ التصفيقِ المُستمِرّ لك، حينما تكبو يا قارئي ستكونُ وحيداً تنفضُ ما شوَّه ثوبك بنفسك، ستنتهي صفقاتُهم وأصواتُهم المتعاليةُ بالتشجيعِ لك، فقط لأنهم يَحْيَون على قانون النِّفاقِ.

سيظهرون حولكَ في مواطنِ فرحِك ونجاحِك، ويبدؤون بقرعِ الطّبولِ لك، سيزُّفونك كما لو أنَّك قارون عندما أقبل على زينته في قومه، وحينما تحينُ كبوتك أيُّها الجوادُ ستراهم فجأةً يعلنون الرَّحيل لأنَّهم يخشونَ المواجهة؛ لأنَّهم بشريُّون خلقوا لِتهينهم الحياةُ، تارةً ترفعهم وتارةً تقذفُ بهم في هاويةٍ سحيقةٍ.

أحتاجُ بشرِيًّاً يخبرني بأنّي عظيمٌ حينما يقرُّ العالم بأنّي لا شيء، أحتاجُ منه أنْ يُعيدَ تمهيدَ طريقي الذي كنتُ فيه ناجحاً، والْتوَتْ قدماي فيه حينما كنتُ أودُّ الصُّعودَ للأعلى، أوْ لا صديق .. لا أريدُ

صديقاً ولا محبَّاً أريدُ أنْ تخلوَ المدينةُ التي سأرحلُ لها من كُلِّ بشريٍّ أيًّا كان، المدينةُ التّي أسكنُ بها سيئةٌ للغايةِ، هنا أجدُ ازدحامَ كاذِبين وهنا أشتمُّ رائحةَ نفاقٍ عاتيةٍ، هنا التقيتُ بمن تنكَّروا بزيِّ الصداقةِ ومن ثمَّ وجدتُ خبثَ خبائث ثعلبية، هنا وهناك أجدُ ذكرى سيئة، لمْ يعدْ هناك طريقٌ آمنٌ ومسالمٌ، لذلك الرَّحيلُ إلى مدينةٍ خاليةٍ من البشر كانتْ ولا تزالُ أمنيةً وجبَ عليَّ تحقيقها كيْ أعيشَ بسلامٍ.

لا تحدِّق بعينكَ وترى أنَّ ذلكَ غريباً، وأنْ كيفَ لبشرٍ أنْ يعيشَ وحدهَ في مدينةٍ لا يسكنها أحدٌ، لنْ أكونَ وحدي لأنّ الله وهبَ لي مَلَكاً أبيضَ أحبني وأحببتُهُ، لستُ وحدي في القُطبِ، معي روحٌ بيضاءُ من شدَّةِ بياضها يكادُ يختلطُ عليك رؤيتها من بين الثلوج.

سأكونُ معكَ وحدكَ، سأكونُ كما علمتني في المرَّةِ الأولى حينما أخبرتني بأنَّ رُوحاً واحدةً هي فقطْ من تحبُّك وأخبرتك بأنَّ الإنسانَ لا يحيا بدون الكثرَةِ حوله، ثمَّ أمهلتني إلى أن زلزلتِ الدُّنيا لي من دروسها عبرةً أحيا عليها، أنتَ معلِّمي الأوَّل وأنتَ قائدُ روحي والأوَّل والآخر بساكنها.

ابقَ داخلي لكيْ لا يلوّثني شعور الندمِ على قرارٍ أخطأتُ في ظنوني به، ابقَ حولي لكيْ ألوذُ بالفرارِ من الجميعِ حتَّى من نفسي فأحتضنك ملاذاً آمنا، ابقَ في مدينتي، في عالمي؛ لكيْ تحلو لي الحياة وتطيب لي الخطى.

اكتفيتُ من كلِّ شيءٍ، من كلِّ ضميرٍ يعودُ لإنسانٍ، من كلِّ صوتِ تصفيقٍ يُخبئُ خلفه مكراً دنيئاً، من كلِّ صحبةٍ جمعتهم العازةُ الدنيويةُ فاجتمعوا حولها وتفرَّقوا من أجلها، من كلِّ شيءٍ فرغَتْ نفسي وأيقنتْ بأنَّ الحياة لا داعي لأنْ تمضي بين الغرباء.

سأكونُ تحت أجنحةِ حبّكَ فقط، اجمع أجنحتَكَ حولي واحتضنّي بها، لا تدعها ثانيةً تتفرَّق، وإن كان ذلك لأرى شعاعَ الشَّمس، لا أريدُ أيَّ شيءٍ سواكَ.

عظماءُ يُذابُ لهمُ الجليدُ

إنّها لا تنكسِرُ أبداً ولا تخضعُ لتحرُّك موجِ الحياةِ، إنّها لا تخفضُ رأسها للذلِّ ولا تنظر للدُّنوّ ما بعد العلُوّ، ثمَّ إنَّ تلك الأنثى لها جبروتٌ في حبّها، ستراها بين الكثيرين ولا تلتفتُ إلا لرجلٍ منهم لا شكَّ بأنَّه أحبَّها بصدقٍ، ولا ريبَ في حفظها حبَّهُ لها على مرِّ الأعوامِ، ليتَكِ يا أنهار الجليدِ توصلين لها مدى إعجابي بها، إنّي لجبلٌ من صخرٍ وحجرٍ وكدتُ أتصدَّع لها ولقصَّة حبّها وصبابةِ شوقها له.

إنَّ تلك الأنثى قويةٌ جداً لأنَّها لمْ توقّع معاهدةَ الاستسلام الذي كتبها اليأسُ، إنّي أراها كلَّ يومٍ تحاربُ جيوشَ اليأسِ مرتديةً دُرُوع الصَّبرِ في سبِيلِ الوُصُولِ إلى الحبِّ، أولا تعلمُ يا نهري بأنّي أعلى جبالِ الأرضِ رفعةً وقوَّةً، إنّي لأصرّح لك ضعفي اليوم بعدما رأيتُ جبروتَ حبّها لِعاشقها، لقدْ بكتْ مِراراً وانسكب من لؤلؤتها بلُّوراً دامعاً.

لقد سهرتْ كثيراً ما بين سجدةٍ وركعةٍ تحملُ اسمه في دعائها، وكأنَّ أبوابَ السَّماءِ لمْ تُفتح إلا لتستقبلَ نحيبَ حبِّها له، لنْ يكونَ الحبُّ عظيماً يا نهري إلا حينما توقعك الدُّنيا في جيشٍ من الجيوشِ وتُعلن لك بدء معركة الشَّوقِ، بعد ذلك يا نهري سيسجلُ اسمها التاريخ بأنّها الأنثى التي لمْ تتقيّد بالقانونِ المصطنعِ، القوانينُ البشريةُ ليست عادلةً، القانون دائماً يفصلنا عمَّن نُحبُّ.

أعلمُ وكلّي ثقةٌ بأنّي سأجدها هي ومنْ عشقتْ يوماً هاهنا يتسّلقان صخوري، وحينما يصلانِ إلى القمَّةِ بعد انهماكٍ من التعبِ سأخبرهما بأنّهما تجاوزا الكثير، فكيف لتسلّقِ جبلٍ بأن ينهكهم؟

وحينما أراهما يتعثرَّانِ من ملساءِ الثّلج على صخوري سأذيبُ لهما جليدي ليسهل عليهما الوصول، عظماءُ الحبِّ أكثرُ عظمةً من غيرهم حينما يصبرون، عظماءُ الحبِّ وحدهم يذابُ لهم الجليدُ.

أودُّ منكَ يا نهري بأن تركُض بسلامي لهم، أخبرهم بأنّ هذه القمّة تنتظرهم ولو بعد حينٍ، أخبرهم بأنَّ الله حينما خلق الحُبَّ في قلوبهم لمْ يخلقْ بعده عثرةً ولا دمعةً إلا ضاعفها فرحةً على مرِّ الأيَّامِ.

كمالُ جندِيٍّ

لا أُجيدُ التفرقةَ في مكانةِ الناس حينما يسيرون بجانبك، أنا لا أُفرّقُ بين ملِكٍ وفقيرٍ ولا جندِيّ أو أميرٍ، فقط أعلم بأنّهم سيحظون بالنظر لك، جِدْ لي بحلٍّ لتوهُّجي الدائم على محيَّاك، إنّي لأبغضُ أصغر الخلائقِ إن كان لها نصيبُ النظر إلى وسامتك، وددتُ يا سيدِي لو أنّ كلَّ الخلائقِ تعمى حينما يسيرون بجانبك خوفاً على كمال خلقتك من بصيرتهم، كيف لا وأنت الذي ضربَ به جميع القوم بأنَّك من نسلِ يوسف الملائكيّ في جماله؟

ألا تغارُ مرآتك منك سيّدي حينما تحدُّق فيها طويلاً؟ ألا تنكسف الشمسُ من عينيك حينما تفتح رمشك صباحاً؟ وددتُ تقبيلَ كل جزءٍ منك بحقِّ حسنِ من سوَّاك، لقد ذكرتُ الله مراراً عليك، في كلِّ مرَّةٍ حدّق الغرباء بأعينهم عليك تخضع شفاهي لتتلو عليك من تعاويذ القرآن خوفاً على محاسنك.

كنْ أينما تكن أيُّها الجنديُّ سيبقى ذكر الله منِّي عليك يحفظك من شرِّ الأقدارِ، كنْ أينما تشاء فالذي جعلني أسبِّحه في دقَّة خلقتك قد رعاك بأعينه التّي لا تنام، كنْ بين أميرٍ ووزيرٍ تعلمُ وأعلمُ والكلُّ يعلم بأنّي عمياءُ إلَّا عن قامتِك وشارةِ كتفكَ.

مُحامِي إبليس

أيُّها الرَّسُول أرسِلْ برِسالتي إلى مدينةِ القانونِ ولْتوصِلها إلى مبنى القضاءِ لمن يُدعى باسم "مُحامي إبليس".

لقدْ أوصانا آباؤنا من قبل لكننا لمْ نكن نصغي، وسنوصي أبناءنا غداً لكنهم لن ينصتوا لنا، ليس لأنّ كما تدين تدان ولكنّ القلب لا يرتدعُ عن الفعل إلا حينما يتألَّم، ألمْ أصدق في حديثي؟ وإن كنتَ بارَّاً يا قاضي يوماً ستعصي الأمر وستودُّ أن تدخل في جنَّة الحُبِّ، يوماً ستعصي وستحبُّ ثمّ ستعشقُ ولن يكون باستطاعتك التراجع لأنَّ قلبك سيتمكَّن من مملكةِ جسدِكَ، سيقودكَ إلى المهالِكِ وأنتَ تؤيّده الرأي.

وحينما يقفُ عقلُك قاضِياً لمشاعِرِك خوفاً من أن تتدمَّر يكون ضميرك محامياً لإبليس يأمرك بإكمال الطريق مبرراً لك فعلاتك، نحنُ عنيدون للغاية لذلك لن توجهنا النصائح، نحن لا نستمع لأقوالِ الحُكماءِ، كلُّ ما نفعله هو أن نسلكَ الطّريق الذي يَرُوقُ لنا ثمَّ نصطدمُ بِعَثَرَاتِهِ ونتألمُّ لكي نتجنَّبها يوم لا يفيدُ التجنبُ.

بعد أنْ عرِفتَ حقيقةَ محامي إبليس أتحسبني نادماً أيها الوغد؟ لا وإنَّ قلبي لا يكادُ يخلو من مودَّته لعاشقه، مهما بلغ كيدك وكيد قبيلتك بأكملها بأنَّ الحبَّ ألمٌ.

رُويداً رُويداً إبليس خلقتُ لأعشق وأظنُّني بل أُوقنُ أنّي عشقتُ رجلاً حسدتني عليه نساءُ الأرضِ جميعهنَّ، لِتتعرفَّ جيّداً على عظمَةِ أنثى في حبِّها، كاسرة للقوانين ومن الممكن أن أُمحيها نهائياً.

القانونُ لا يحكمني في ساعةِ العِشقِ، القانونُ ترَّهاتٌ ثرثر بها الأقوياءُ ليخاف منها الضعفاءُ، والضعيفُ داخل هذا التحدِّي هو أنت، أتظنُّ بعد ذلك أن يخيفني القانونُ؟

إبليس أيها المحامي الضال .. أنا لا أُهزم .. أنا أنهزمُ في داخلي لكي أستعدَّ لفرحة انتصارٍ كبيرةٍ تعمُّها رائحةُ انهزامِ الطّرفِ الآخرِ.

شيطانُ الضَّعفِ

مواطِنُ الضَّعفِ شيطانٌ أسودُ يحومُ حولنا، شيطانٌ مُلازِمٌ لا ينصرف خاصَّةً إذا وُلِدَ في حالة عشقٍ، لا يُمكِنُك تحقيقُ أمنياتِكَ جميعها مع محبُوبِكَ لذا سيلحقُك شيطانٌ أسودُ يحوم حول رأسِكَ أثناء لحظاتِ انصِهارِكَ حبَّاً مع محبُوبِكَ!

نعم سيتخيَّرُ لك أفضلَ الأوقاتِ لكي يصنع لك سحابةَ اليأسِ المغمُورةِ بمطرِ الموتِ، أتدرِي أنَّ الشَّيطانَ هذا لا يخرجُ من مِصباحٍ أو يُولدُ كجِنِّيٍّ، بلْ إنَّه سيولدُ من غيرتك، سيولد في أوَّل موطنٍ لضعفِك أمام الحبِّ، عندما تكون خاضعاً أمام ظُرُوفِ الحياةِ وصُدفتِها السيِّئةِ سيكون لك أوَّل رفِيقٍ.

لن ينصرِف؛ لأنّك ستكونُ ضعِيفاً مَهزُوماً أمام قدرك لا حيلة لك بالتغيير، سيتمكَّنُ منك ويبدأ بعرض حلوله لك عبر غمامته الحمراء، ربما سيجعلك تتذوَّق دماءً منها أصداُ من حديدٍ أساء الحدَّادُ صناعته، ستتجرَّعُ مرارةَ ضعفِك أمام الحبِّ وأمام شيطانٍ لا يكاد يغفو عن مواطنِ ضعفِك، ثمَّ إن هذا الشيطان خبيثٌ جداً لأنَّه يفسد مُتعةَ وقتِك؛ لأنَّه لا يراك صافي البال حتَّى يعدِّد لك ماذا

فعل الآخرون بمحبوبك ويُسخِّر لك عالماً من الخيال كيف للجميع الوصول إلى محبوبك بكلِّ سهولةٍ باستثنائك، كيف للجميع الاقتراب والتمتُّع بالحياةِ بجوار محبوبك عدا أنت؟

أنت التي خلقت في جحِيمِ تفكِيرِكَ وكان حظُّك سيِّئاً لأنَّ شيطان مواطن الضعف تمكَّن منك، ستسُوءُ حياتُك ولو كنتَ عاشقاً ودُوداً، ستمطر عليك سحابةَ الموتِ بالحُلُولِ السيِّئةِ، ستودُّ لو أنَّك رماداً ولم تولدْ قبل أن تحيا في جحيم التفكير، أُفِيدك يا قارئي بأنِّي حينما تباع عقاقيرُ النسيانِ سأكونُ أوَّل من يشتريها، وحينما يظهر الحُبُّ على هيئة شبحٍ سأكونُ أوَّل من يقتله.

ماكِرٌ في عقِيدةِ القُوّةِ

سأفاجئك بالحقيقةِ بعد أن كنتُ سفيرةً للخيالِ والحُلمِ، أودُّ اللجوءَ إلى كوكبٍ من الكذبِ، كوكبٌ يحمل بداخله كلاماً كثيراً، وعودٌ من هراءٍ، أودُّ الغرق في بحرٍ من المُواساةِ؛ لأنَّ الخيال لمْ يعدْ يرضيني، لكمْ كنتُ أتخيَّلُ وأتخيَّلُ حتّى إذا ما طار خيالي بجناحيه اصطدم بالواقعِ فهوى في سُورٍ لا مخرج له، لكمْ صنعتُ عالماً في مخيَّلتي كانتْ رايته اسمي، كان يلوّح لي الجميع فيه بالانتصارِ إلا نفسي، فهي تعلمُ بصعوبة هذه المعركة وأنها لن تنتهيَ إلا بالموتِ.

لقدْ أبغضتُ خيالي وأبغضتُ سعةَ عالمي الذي لم أضع له حداً يليق بالواقعِ، مخطئٌ من أخبرك يا صديقي بأنَّ الخيالَ هو المخرج لنا من كلِّ ضيقٍ، أتدري لِمَ؟ لأننا سنعلو كثيراً بخيالنا، سننال مُرادنا فيه، سنقترب فيه ممن نحبُّ، سنبتسمُ ونفرحُ ونشعرُ بنشوةِ الانتصارِ، ثمَّ إنَّك ستعود لواقعك فتراك ضعيفاً لا حيلةَ لك للانتصارِ، ستشعُرُ بخيبةِ أملٍ وكأنك لمْ تكن من قبل إنساناً، ستودُّ لو أنّكَ لحظةً لم تتخيل قطّ؛ لأن حيلتك ليس بوسعها فعل شيءٍ.

إنك يا قارئي موجودٌ في وسط سيناريو مُزدحمٍ بالمتاعِبِ، أعدَّ كاتبه خطوط سيره وأحكم نهايته لذلك لا تجهد نفسك بالتغيير، إنَّ كلَّ شيءٍ قد أُعدَّ له منذ زمنٍ، منذ زمنٍ بعيدٍ، لقد كنتَ نائماً داخل أحشاء والدتك ولم تنتبه للقلمِ حينما كان يكتبُ أقدارك لذلك لا تجاهد بالمحاربةِ الفاشِلةِ، ستحيى كما أنت، دون تغييرٍ من ملكٍ و لا وزيرٍ، ستبقى بطل الفيلمِ الذي حكم عليه الكاتبُ بقصَّةٍ ونهايةٍ لمْ يكن باختيارِكَ التمثيل فيها.

كن ممثلاً محترفاً في فيلمك الذي صنعته لك الحياة وسط ظروفك القاهرة، ابكِ كثيراً ولكن لا تتخيَّل كثيراً؛ لأنك إذا اعتقدت بأنَّ الخيالَ ملجأٌ من كُلِّ ضِيقٍ فأنت كافِرٌ في عقيدةِ القوَّةِ.

تاجِرُ الحظِّ

ستتمنىُ عليك الأيّام بأنها حققتْ لك كل شيءٍ، ستتمنى كلَّ شيءٍ فتناله، ستتمنى المال والثراء وتحصِّله، ستتمنى التنقُّل بين أرجاء العالم ومحبَّة الكثيرين لك فتنال ما وددتَ، ثم إنك ستُحَبُّ وتُعشقُ لكنَّك هنا لن تنال كل مرادك وإن كانت أموالك تزن الجبال.

لقد بحثتُ عن بائع الحظوظِ ووجدته خلف داري ساكناً، أقبلتُ عليه وكلِّي وهنٌ من ضعفي الذي لم أظهره لأحدٍ من المخلوقات، أخبرته عن حلمي ومرادي الذي وددته وسيظلُّ مراداً واحداً لن أعبأ إلا لأجله، كان البائع مرتدياً قناعاً أبيضَ، كان مموجاً ما بين زجاج وماء، كان شكله مثيراً وكأنه بالفعل سيجلب لي حظّي المنتظر.

رجوته أن يساعدني لأنال مرادي فأخبرني بأنني سأناله عمَّا قريبٍ، مدَّ لي يداه ورفع كرةً زجاجيةً بداخلها رأيتُ حلمي، اقتربت لآخذها فأعاقني شيءٌ ما لا يُرى، أنزل كرته الزجاجية من الهواءِ ووضعها بكفِّي وقال: هنا حلمك، هنا مرادك بداخل هذه الكرة الزجاجية، ستجدين ما كنتِ تضعفين لأجله خلف ستائر تكبرك أمام الجميع.

أخذتُ الكُرة منه ومضيتُ فرحةً بحصولي على أوَّل الطّريق، كنت أصوّبها أمام عيني وروحي فرحةً كملاكٍ سكن الغمام، لم أكمل القليل في طريقي حتَّى تساقطت قطراتُ مطرٍ على خدَّيَّ، وجهتُ ناظري نحو السماءِ فوجدتها مشمسةً لا غيم بها.

إنَّها كرةُ الحلمِ يا قارئي، لم تكن كرةً زجاجيةً تحتفظُ بأحلامنا داخلها، لقد كان البائعُ كاذباً أهداني وعدهُ في كرةٍ من الماء، لقد سالَ الماءُ واختفتِ الكرة المثيرة للجمال، كانتْ تحملُ أحلاماً بداخلها وهبتُ روحي لها حتَّى أنالها، جميعُ تجار الحظوظ كاذبون، جميع الزائرون مغفَّلون، الحبُّ والحظُّ اثنان لا يمكن شرائهما يا سادة، ولو ملكتَ مفاتح قارون وجبروت عادٍ لن تستطع تحقيق مرادك إن لم يساندك أحد السلعتين هاتين.

لقد اقتنيتُ سلعةً وبقيتِ الأخرى، أيا ليتكِ تُشترين لا اشتريتك بثمنٍ عالٍ وإن كان آخر يومٍ لي في هذه الحياة.

عَينانِ منَ نَهْرِ الكَوْثَرِ

لا يا ظنوني لقد أخطأتِ في توقُّعِكِ هذه المرة، وكلُّ مرَّةٍ ظننتِ به شيئاً خِبتِ وفاق حُسنُهُ الخيالَ، لقد ظننتك ملاكاً ولكنِّي عرفتك مبتعثاً من الفردوسِ.

لقد فتنتني عيناك وظننتها بلوراً من المحيط الماسيّ ولكنها عينان مغموستان في نهر الكوثر، لقد ظننتك ألف مرةٍ وكلَّ مرةٍ استحييتُ حينما أخطئُ في وسامتك سيدِّي.

على الكواكبِ أن تُعلن انفجارها فطرفاتك محت جمالها في عيني، على الشمس أن تعلن انطفاءها فإنّي حينما أتيهُ في عينيك عادةً ما يردُّني شعاع حبّك فتنخفضُ عيناي للأسفل كعادتي، عيناكَ وميضٌ لو باستطاعتي أن أجعلهُ منهجاً يُدرَّسُ في مناهج العاشقين لكُنتُ المعلّم الأوَّل للحبِّ.

ابقَ أميري معي إلى اللانهاية، ابقَ لأنَّه لم ولن يكون باستطاعتي أن أغفوَ عن حبِّ عينيك لحظةً واحدةً، يقيني بأنّي لن أوفيك حقَّ مديحك ولو أمطرتِ السَّماءُ حبراً أزرقَ.

ولو أُهديتْ لي صفحاتُ عنترة ما بلغتْ معشارَ عشقي لك، إن أهلكتكَ جزالةُ الكتابةِ يا قارئي فليس بوسعي غيرَ ذلك، ألا ترى يا قارئي أنّي لا أصف بحراً وقمراً، إنني أصف عينينِ من نهرِ الكوثرِ.

عذِّبها بما ليس ملكاً لها

أحببتك بقوَّةٍ ضعفِي الذي يَظهرُ حينما أغارُ من لا شيء، أحببتك بحبٍّ يثور له الطّمع حفيفاً ونيراناً، أحببتك بانهماكٍ للحدِّ الذي جعلني أتساءل أمام عقلي، هل قد ظلمتُ أحداً من قبل في ماضيَّ حتى أُعذّب بحبّك؟ أهناك من كرهني يوماً فقال في دعائه: عذِّبها بما ليس مُلْكاً لها؟

أنا التي تحبُّك بتكبُّرٍ وتجبُّر أمام الجميع وأنا التي أضعفُ وأذبلُ حينما يذكر عقلي بأنَّك لستَ لي، لقد بلغت مِنّي الأنانيَّة ما لم تبلغ قلب امرأةٍ، أودُّ عزلك عن الجميع، أودُّ الرَّحيل بك إلى كوكبٍ لا يسكنه جانٌّ ولا إنسٌ، وألا ترى يا عاشقي بأنَّ وسامتك أيضاً قد فتنتْ إناثَ الجآنّ؟ ألا ترى تذبذب حركاتهم ما إن مررتَ بطريقٍ فرأوا من حسنك ما رأيت؟

لن تكتفيَ غيرتي على إناث البشر فجميع المخلوقات ودَّتْ ببعضٍ مما ينتهي له حبر قلمي بوصفك.

لقدِ امتلكتُ العالمَ كلّه بك لذلك لن أسمحَ لأحدٍ أن يقتربَ منك كان قريباً أو غريباً، إلى كل من رأى تكبري بحبّه وغزلي له الذي لا يقف ليل نهارٍ، وإلى تلك الدعوة التي قضت على قوَّتي في حبّه، إلى الذي أطلق دعوته عليَّ فأوقعتني دعوته في حبٍّ يتطلَّب منّي الصَّبر الطويل، رفقاً بي فقد نِلْتَ ما وددتَ أن تناله، لقد أصابتني دعوتك وانهمكتُ بعشقٍ كبيرٍ.

لقد بكتْ عيناي مراراً وأدمَعَتْ قِصَّتي يهودياً لا يدمع، رفقاً بي بعد نوالكَ مُرادك لقد توصَّلت إلى رؤيتي في صبابتي لعاشقٍ بقوةِ ضعفي، ألا يكفي ذلك لأن أنال مُرادي الآن؟

كان حبُّهُ استجابةَ دعوة كائنٍ عليَّ، أعيذك يا قارئي بأن يدعو عليك أحدهم فتقع في عشقِ ما ليس لك فتحيا ما بين ولهٍ وشوقٍ وبكاءٍ وذبولٍ.

خُرافةُ الإخوةِ الأوفياءِ

البعضُ منّا يحيى بين إخوة رغم عدمهم والبعض يفتقر للإخوة رغم تواجدهم، ستجدُ نفسكَ هزيلاً حينما تفتح لك الدنيا بابَ خذلان الإخوة وكأنها تقول لك: لقدْ منحتك كلّ مصائبِ الحياة، خذ هذه يا صغيري فلمْ أنته بعد، من قال لك استند على أخيك في كلّ حين كان كاذباً، من أخبرك موقناً بأن الإخوة هم عامودُ الحياة أجرَمَ بحقك.

كنْ لنفسك أولاً، كنْ لنفسك ثانياً، كنْ لنفسك ثالثاً، لقد مات المؤلفُ الذي كتبَ قصةَ الإخوة الأوفياء، ستلتجئُ إلى نفسك أولاً وآخراً، ستبقى وحيداً حينما يعلن لك سندك رحيله عنك بأي صيغةٍ كانت، سترى ذاتك وهي تُكْرِمْ ثمّ تُهان، سترى بأن الرديء من القوم يوضعُ في كفّةٍ وأنت في أخرى ليشاهد الجميع من سيرجح كفّته.

ستموتُ ألماً حينما يعلنُ الفوز لمن هو أدنى منكَ خُلُقاً وخَلْقاً، لربّما تُصبُح الأنثى مستندةً على أخيها وتُمسي على سندِ رجلٍ لا تعرفه، نحن نتمنى لو أنّ بعض الأمور تعود لكنها لن تعود إذا دُفنتْ

مكانتك ي صاحبي، لا بأسْ إن التجأتَ إلى سندٍ آخر في حين تخلّى عنك سندك ولو كان غريباً.

كمْ من غريبٍ صار حبيبا وكم من حبيبٍ صار غريبا، كم من أخٍ كان واجبه أن يكون سنداً لأخته وأهوى بها أمام من تحبّ، كم من وقتٍ هدرناه لِنعلي فيه من مكانتنا وقُذِفَ بنا الأمر لأن ترجح كفّةُ ميزانِ الظلّمِ علينا، كم من مرةٍ استنجدنا فأنجدنا غرباء المارّة قبل أنْ يُنْجِدنا أصحاب اللقب نفسه.

وددتُ مواساتك يا قارئي إن كان قد لامسك بضع أحرفي، لكنّي أعيذكَ بأنْ تجعلَ كلّ استنادك على شخص حتّى إذا تخلّى عنكَ لا تسقط وراءه.

أخي .. لقد اتخذتكَ سنداً خاطئاً وأدركتُ أنك جعلتني أضعُ نفسي محلّ مقارنةٍ للأخريات مع اخوانهن في حين أني كنتُ أستأنفُ بأنْ أقارن بالبشرِ كلّهم، في المرّة المقبلة حين تعود وتمدّ لي كفك سيرّدُّ إليكَ فارغاً سأخذلهُ أكثرَ ممّا خذلني.

أتدري أنا لا أخذلُ بالمِثلْ أنا لن أضعكَ في ميزان الظّلم ولن أوزنك مع شخصٍ تكرهه، سأتخذُ سندي ولقد اتخذته في حضرتك قبل غيابك لأنّك في كلا الأحوالِ غائب.

إلى كلّ من كان يكرهُ بأن يرى أختاً له تستندُ على غيره، كنْ لها قريباً وحبيباً لربّما تغفو أثناء رحيلك فتعودَ بعد إفاقتك فتجدها قدْ استندتْ على غيرك.

رائد الحبِّ

لن أبدأ لك بحروف السجع طرباً، لن أُمهد لك في أحرفي فأنا لا أهدأ حينما أُجنّ، أرأيتَ بحار آسيا حينما تثور بجنونها وتفتك بمن حولها؟ أرأيت بركان "لوا" حينما ينثر صخوره أنحاء الجزيرة تلك هي غيرتي وبقاياها، بقايا من غيرتي هي بتلك القوّة فكيف لك بغيرتي ونشأتها؟

لقد أطفئ حبّك منّي الكثير، لقد كنتُ احترافيةً في التسّعر وغليله المؤلم، لكنك بقيتَ تعزفُ أحرفك نغماً داخل أذناي حتّى صببتَ من جليدكَ على نيراني، أنا لا أهدأ يا سيدّي إلا بسماع نبراتِ صوتك.

لقدْ كذبتُ عليك كثيراً حينما أخبرتك بأنني هادئةً لا أثور، في الحقيقة كنتُ أوّل المتوهجّين على حبّك وأن أرى قلباً آخر يشاركني بك.

مراراً تنكرتُ بأقنعةِ الهدوء حتّى لا يمسّ قلبك بعضاً من حرارةِ بركاني، مراراً اختبأتُ خلف الابتسامةِ أمام الكاميرات حتّى لا يظنّ الكثيرُ بأنّ قوتّي تخضع أمام الغيرة، أمام الكثير أعلن قوتّي وإليكَ أزفّ غيرتي وموت روحي حينما تغلّفها الغيرة.

لابدّ وأنّك ستتوقع أنّ غيرتي محورها هو أنّ هناك قلباً يشاركَ حياتك، لقد انتقلتُ للأصغر من ذلك، للأصغر ولكنّي في قانون الشراكة عيناي لا ترى صغيراً قط.

أغار عليك إن لمحتك أعينُ الإناث وتبسّمت لك، أغار عليكَ من لثماتِ من هم حولك بشغف، أغار على مبسمك وإن نطقَ اسماً مؤنثاً وإن كنتَ قد رمزت له بضمير الغائب والماضي.

أتدري أين قذفتْ بي غيرتي؟ إنّي لأهلك حينما تتذوق شفاتك من طعامِ أنثى وإن كنتَ أنتَ من طلبتَ تذوقه، دعكَ منْ غيرتي للأبدْ فهي لن تنتهي.

لقدْ هُلكتُ مراراً حينما حاولتُ حصرها داخل سورٍ من الحبّ، حاولتُ بأنْ أستقبل ملائكةً للسلامِ لتطفئ من جنون غيرتي لكنّها أبَتْ بأنْ تهدأ وكأنها تصرخ عليّ في كلّ مرةٍ وددتُ لها الراحة فتقول:

ستبقين في ظلّ الشّراكة يا عاشقة وسأظلّ أكبر معك يوماً بعد يوم.

أُعلنُ انسحابي يا أميري من صراعي مع الغيرة والكبر عليها بأنّي أنا الأقوى، أعلنُ هزيمتي في جبروتِ غيرتي لك ولحبّك، لكنّي لن أُعلنَ لك الانسحاب من جزيرةِ الحبّ أبداً، هيهاتَ وأنا التّي ستبقى معك رغماً عن الكثيرون.

سأبقى معك في جزيرتك وإن كان سكانها المليون، سأبقى معك مهما ثارتِ براكين غيرتي وملأت أنحاء المكان، سأبقى معك وإن هرمتُ وبلغتُ ضعفي فأنا أعلمُ بأنّ ضعفي سيكون بوجودك قوّة.

أميري .. سِرْ في جزيرتك قائداً لما تحبّ بين أشجارها وسكانها،سرْ والتفت على يمناك ستراني أهمز لكَ بأنّ الوعد الذي وعدّتك به قريب يا رائدَ الحبّ بداخلي.

ساحرٌ بالفطرة

لمْ ينثُر عليّ من تعاويذ الشيطان، لمْ يوصِ ساحراً لأكون له وحده، لمْ يجلْس في مراكب الجنّ ولمْ يغمزْ للمارِدِ بأن يُوقعني في عشقه.

لقد كان ساحراً بالفطرة، لقد أعمى عيناي عن كل ذكرٍ دونه، بدأ صباحه الأوّل بعينيه نحوي أحسستُ وكأنّي لم أرى رجلاً من قبلْ، لقد كان مميّزاً من بين الجميع، من بين المارّة والواقفين كنتُ قد عُميت إلا عن هيبته كنتُ بصيرةً كصقرٍ لمح شهانته بعد طول غياب.

سيدّي .. أنا لا أعرف من تكن، أنا لا أعرف حتّى ما هو اسمك، لقد تسللتُ لمعرفته خفيةً حينما كان يتوسط صدرك، ولو تدري أنا أُغرمتُ باسمك كثيراً غراماً لا ينافس انجذابي لقامتك حينما تكن واقفاً، غراماً لا ينافس مشيتك حينما تخطوا سائراً.

أحببتُ كلّ تصرفاتك، أحببتُ صغيرك وكبيرك وإنّي أقسم لو ذرّة من خردَلٍ لمست جسدك لعشقتها لتعلّقها بك، سِرْ بي في جنونك ولا تلمني، سِرْ بي وزدني بك حبّاً حتّى يتفوّه الجميع بأنني المستهامةُ بك كرائدٍ للعشق.

لا تلمني ولا حقّ لهم لأن يلوموني بك، أو لمْ تكن أنت السّاحر الذي لم يتوسّل لأي تعويذاتٍ حتّى يأسرني في حبّه؟

أو لم تكن أنت ذاك الوسيم الذي افتتنت به نهار العيد وأوقعني بحبّه دون استئذانٍ منّي، أنتَ من سحرني وأعمى بصيرتي عن كلّ الذكور من بعدك، أنتَ من جعل منّي كاتبةً لأحرف الحبّ أغزلها غزلاً لأجلك.

رائدُ الحبّ ستكون أنت أوّل ساحرٍ لا يستخدم التعويذات ليحقق مراده وأمنياته، لقدْ اكتشفتك ساحراً بالفطرة ثمّ إنّي أعلم بأنّ سحرك قد وقع عليّ، أتدري أيّها السّاحر في لحظة العشق أنا لا أودّ أن ينفك سحرك عنّي.

زدني بك سحراً وجنوناً، زدني بتعويذات حبّك فكلّ تعويذاتك أحببتها وأحببتُ وجودي معك في عالمٍ لا يسكنُ في ناظري إلا أنت.

عاشقةٌ في العيادة النفسية

دخلتُ عليه وكلّي ألمٌ أهكذا أوصلني العشق إلى هنا؟

جلستُ متكأةً على السرير أنظر حولي هل أنا في روايةٍ ستنتهي بمكوثي هنا؟ هل سأكون إحدى اللواتي جُنّت في ساعةِ العشق إلى أن دارتِ الأرض فأوجدتني هنا بين الأسرّة البيضاء؟

هل سأكون الفتاة التي يتحدث عنها الجميع بأنها التي أتلفت حياتها بيدها؟

نعم أنا في العيادةِ النفسية، لقد أوصلني حبّك إلى هنا يا سيدي ولا زلتُ عاشقةً لك مهما زرتُ من مشافي، بعد غدالكَ عنّي تخبطتُّ في أشدّ أنواع الأمراض.

لمْ يُفهم لي طبّ ولا طبيب، لم أُدرج في حالة المرضى لقد كنتُ حالةً مستعصية على جميع الأطبّاء إلى أن أشار الجميع بأن أتواجد في عيادة النفسية علّ ذلك يُجدي بالنفع ويفيد.

هيهات .. ولعله يفيد في غيابك سيدّي، لقد كنت ماردةً في أجوبتي حينما سألني الطبيب عنك أشيءٌ ما يُشغل ذهنك؟ لقد كنتُ صارمةً في إجابتي لا أخشى من كان حاضراً أمامي من الأقربون.

لكني في بدايتي ترددتُ مراراً لأني تعلمت بأن أبقيك سراً بيني وبين الله، بدأت أثرثر له عن هموم الدراسة بدأت أخوض في كلامٍ لا يؤلمني ولا يلامس قلبي وتراً واحدا.

اقترب منّي قليلاً أعمق بداخل عيناي قائلاً: الحقيقة أفضل من الكذب صغيرتي بداخلك حكايةٌ طويلة لن تسع هذه العيادة ولكن هل باستطاعتي التخفيف منها؟

(أنا عاشقة) عاشقةٌ لكنّي وجدتّ الحبّ في ملكٍ ليس بملكي، (أنا عاشقة) لكني لم يعدْ باستطاعتي قيادةُ نفسي أنا تحت سيطرته وأتدري أنا عاشقة وسأظل كذلك مهما ملأتَ وريدي وغزاً من المهدئات.

(أنا عاشقة) لكني أحببت مستحيلاً في القانون لم تكتفي عواقب حبّي على شراكةٍ في الحبّ، يُمنع عليّا قانوناً الحبّ يا طبيبي أتدري ما مدى أن تحبّ فتعشق فتمنع من محبوبك وتموت رويداً رويداً؟

بدأ يدور حول نفسه وكأنّي حالةٌ مستثناه من المرضى الزائرون لديه، جلس على مكتبه يناولني مشروبي المفضّل، بدأت الممرضات تجتمعن حولي يداروني بالحديث وكأني طفلةٌ في الخامسة، مهلاً أنا في التاسعة عشر ولكنّي في حبّه طفلة.

وإن تجاوزت الستين سأبقى في جميع أموري حكيمة لكنّي سأكون طفلةً تبكيني وتفرحني أتفه التفاصيل، لملمتُ دموعي ووقفتُ خلف باب العيادة لكي أخرج، أدري بأن جميع من في الانتظار خارجا سيحدّقون النظر فيّ حينما أخرج، سيتعجبون من دخولي هذا الباب الذي بجانبه لوحة يتوسطها قسم " العيادة النفسية"، سيتعجبون من مظهري الغير لائق بهذا القسم.

سيتعجبون من جمالي ما الذي أتى به هنا، سيتعجبون وسيسألون كثيراً هل وهل وهل وستبقى أنت جميع إجاباتي يا عاشقي، أتدري؟ أنا لا أكترث لنظراتهم عن دخولي وخروجي من هذا المكان.

أنا لا أعبأ لطبيبٍ أو جمهور، أنا أحيا لك ولأجلك، حبّك أدرجني في لائحة المرضى النفسيّين، لقد سُجل اسمي في أجهزتهم بأنّي زائرةٌ لديهم، حتّى وإن مضتِ الأعوام و خرجتُ من نوبتي النفسية سيكون اسمي محفوظاً لديهم لكي يخفف عنّي القانون عقابه إن ارتكبت جريمةً ما بسبب جنوني.

آواه .. وأنا التي عهدها الجميع بأنها أكثر النّاس فرحاً ونجاحاً، ها أنا اليوم أخطو خطواتي الأولى بعد خروجي من هذا المكان، وإن كان هناك من لا يعلم بحقيقتي سأخبركم عن هذه الناجحة إنّها أحد المتخرجين من العيادة النفسية.

العيادة النفسية، أنجبت الكثير من العظماء، ربما دخلتها عاشقة لكنّي سأخرج منها بأعظم من ذلك، قارئي .. لا تخف زيارة العيادة النفسية ربما يحكم عليها الكثيرون بأنها موحشة ومن يدخلها مجنون أو مهووس.

لقد أخطأنا وأسرعنا بالحكم عليها وأنا أيضاً حكمتُ ذلك وظننتُ بأن من يزورها فقط هم الفاقدين للعقل، لم أكنْ أعلمُ بأنّي سأكون أحد زوارها! لا لمرضٍ أو عائق جسديّ، لقد زرتها كعاشقة أهلكها الحبّ وأمرضها، ولو أنّ دخولي لها سيُرجعك إليّ سأحجز مقاعدي هناك انتظرك وأردد مرحباً ومرحباً بالعيادة النفسية.

موطن لم يوضع على الخارطة

لا أعلم ما الذي قادني إليه، فقط أعلمُ بأن مشاعري تهافتت عليه كعاشقةٍ وجدت الحبّ بعد أن أيقنت بأنه لا يوجدُ قلبٌ يستحق مشاركة الحب إلا ذاتها، أزاد مبسمك فتنتي في تبسمه؟ أم أن عيناك التي تحكي الكثير هي من أرغمتني للخضوع في سبيل حبك؟ أرى قلبي رائداً في حبك، أرى قلبي قوّي بصلابته ضعيفٌ عند ذكر اسمك، ولو تدري أنا بك أرى نفسي ودونك عمياءٌ عن الدنيا، أخبر قلبك يا سيدّي بأنّي لن أدعه وشأنه في وسادة الحبّ، أو لم يكن أنتَ من أوقعني في استيهامه؟ تحمّل قوة عشقي لك، ستهلكك غيرتي وجنوني، ستجدني عنيدةً في حبّك لا أقبلُ الزوال ولا أدمجه في قانون عشقي.

أنت الذي صيّرت الحبّ نعيماً بعد أن كان جحيما، أنت الذي خلق كاتبةً تُجيدُ الروايات الغرامية بعد أن كانت منهمكة بين الأسلحة والدماء، مُدّ لي يديك أقبّلها وأرفعها أمام الجميع ناطقةً باسمك، اقترب منّي لتلامس يدي صدرك بوسام ماسيّ صنعه الماسّيون لك أنت.

لِتَدنوا برأسك قليلاً لأنّ جبينك موطنٌ واجبٌ على مواطنيه تقبيله، أنت موطنٌ لا ساكنين فيه غيري، أنت موطنٌ لا أخشى الهجرة منه يوما ولا أخشى عصيان نظامه.

أنتَ موطنٌ لمْ يُوضع على الخارطة، وأنا المواطنة التي قدسّت موطنك أعدك بأنّي لن أترك موطني وأرحل يوماً أجننتُ لأن أن أخلق طريق الهلاك لنفسي؟

وجدتك رجلاً

لمْ أحبّك كرجل فقط، أحببتك كحياةٍ بحثتُ عنها للعشرين عام ولمْ أجدْ لها فتيلاً يوصلني لها، لم أحبّك كرجل فقط، أحببتك كاستجابةِ دعوةٍ دعوتها حينما قلت: اللهم ارزقني فرحةً تُغنيني عن كلّ شيء.

لقد أحببتك كألفِ عاشقه ولكنّي مختلفةٌ عنهم، لا أشكّ بهذا فأنا أحبّك كأمٍ لطفلها، كوالدٍ يوصي ولده، كأختٍ تستندُ على أخاها، كحبيبةٍ لا تجدُ ملاذاً آمناً إلاّ في احتضان حبيبها.

للوهلةِ الأولى تموجت في عينك فارتدّ قلبي يبشرّني بأنّ هناك حبّاً يطرق الباب، هل آذن له؟ أم أدعُ طريق العاشقين في شأن وأبقى داخل حجرتي مع أوراقي وبعثرة أحرفي؟

وجدّتك يا سيدّي روحاً تخطّ لها الأحرفُ غَزَلا، وجدّتك شخصيةً جيدّةً لأمثل لها بطلَ روايتي، وجدّتك رجلاً حينما دُفنَ الذّكور على الكرةِ الأرضية.

ستكونُ أنتَ الأوّل الذي تسكنُ له روحي وتطمئنّ بأنْ تنام وتغفوا في عرشِ محبتّك، لا شكّ بأنك الذّي استوليت قلبي واسرته بأُنْسِك.

ظلّ ركوعهم

وبريقاً أثناء ركوعي قد أشرق، خفيةً ودون أن أرفع رأسي رأيتُ الأقدام تتراصّ صفاً صفاً، حتّى ما رفعتُ رأسي وامتلأ المكان بصدى الله أكبر قدْ كبّر كلّ العسْكر، الله أكبرْ من سلاحٍ من محارب، الله أكبر من عدوّ يراقب، تساوت كلّ أجسادهم وانحنت ظهورهم للرّب والحنايا لا تكاد تفنى من الخوف على الحرم.

وأجملُ من أن ترى الشلالات على الصّخور وهطول الثلوج على الزّهور هو أن ترى صفّ الرّاكعين قارئي، الجميع راكع ولكنّ في ركوعهم ظلّ لا يمكن أن يفنى من ذاكرتي وذاكرة كلّ محبٍّ لمن سعى حبّاً للوطن.

بين حراسة الحرم و بين تلألأ الآذان سترى ما يقشّعر بدنك لأجله، هنا ستلقى العسْكريّ يكبّر وآخر تلفّت يمنةً ويسرى ترّقباً وحماية، حتّى ما يملأ الحرم سكينةً و وقارا وجدّت ذاك الصّف الذي أقصده.

الصّف الذي لن تكسره العواصف وزلزلة الأرض، فإنّ خلف سكونهم في ركوعهم قوةً باتت تتحدّى الأسود، لا يزالُ قلبي ينبض بالحبّ حينما أرى أحد أفرادهم قدْ تخلّى عن مسؤوليته لموقفٍ إنسانّي.

ذاك وضع عنه قبعته ليحمي شيبةً باتت ضائعة في ساحةِ الحرم، وآخر لم تخلو يداه من حمل طفلٍ أهلكه لهيب الشمس، هنا وهناك ستتوقّف قارئي وتدمع عيناك فرحاً لتمازج الوظائف، إن كنتَ داخل ساحاتِ الحرم ستجدُ الكثير ممّا أقصده ستجدُ ما تتأملّه بعيداً عن تأمّل الطبيعة هنا يستحقّ أن تقف لكي تتأمّل في عطفٍ إنساني.

خلف بدلاتهم العسكرية ذات المظهر القاسي ستجدُ قلوباً أرهف من أمٍ على جنين، على الرّغم من انهماكهم وكثرة مسؤولياتهم ستجدُ الابتسامةَ تشّع نوراً لا ينطفئ، هنا وعلى أطهر بقعةٍ حملتني راكعة وجدّت ظلّ ركوعهم لا يغيب.

شبحان لن يتفقا

لا أحبذّ ذاك النّوع من المناماتِ التّي تراودني بوسادتي ويُفرّق فيها بين عاشقين من أجل المُضي في طريق الزّواج، ربّما لا تزورني هذه المناماتُ المُزعجة إلّا حين خوفي من شبحِ الشراكة الذي أصبح يداهم كل محبوبين اجتمعا.

بين اعوجاج الحياة يئست من تصافح شبحان "شبح الحبّ وشبح الشّراكة" فكلٌ منهما يهتفُ بأنّه المسيطرُ على جميع العشّاق، نهضتُ عن وسادتي ورفعتُ غطائي عنّي لوحتّ إلى شبح الحبّ أن اقترب، اقترب من شرفتي حتى اتكئ على نافذتي وبسط رداءه الأبيض لأحكي له عما رأيتُ في منامي من إيذاء شبحِ الشّراكةِ لي.

بدأت بقصّ منامي دون توقفٍ ورجفه وكأنّي طفلةٌ قد تمكن منها الخوف لفقدها دُميتها، ولكنّ خوفي بأنْ ألقى شريكي ومن ثمّ ألق الحبّ في روحٍ أخرى.

صمتَ شبحُ الحبّ ولملم ردائه الأبيض وقال لي: صغيرتي ربّما لن تجديني في شريك حياتك ولكنّني أحذرك بأن تُقبلي على الشراكة

دون حبّ، لأنّي حينئذ سأتلبسّ في شخصٍ آخر وحينها سيُعلق حبّك عند مالا تملكيه.

بدأ يقصّ الكثير من الحكايا عن متحابان اجتمعا وفرقّهما القدر متحججاً بأنّ الشراكة أقوى من الحبّ، تمكّن منّي النعاس حتّى فُزعت فصحوتُ في نصف قصتّه الأخيرة قائلا: كانت آخر وعودهما بين احتضان الوداع بأنْ تُسمي وليدها الأوّل باسمه، فشاءت الأقدار لأنً ينصرف كلٌ منهما عن الوصال بمشيئة الفراق.

باعدتِ الأرضُ طواياها على كلٍ من المتحابين، مضتِ الأعوام عاماً يتبعه عام إلى أن استيقظتْ على استهلالِ زوجها بوليدها الأوّل، الذي كان له من نصيب اسم محبوبها مسمّى، تلك الفتاة التّي لم يسترق أذهاننا شريكُها ووليدها، لمْ يباعدِ الوقتُ دفئ احتضانها الودّاعي في السّابق.

أوفتْ بوعدها ليسَ خوفاً من أن يُطلق عليها خائنَة الوعود لكنّ استهامها لمحبوبها لم يكدْ يطغى عليه أيّ أمرٍ من أمور الحياة، إن كان قلبُ الأنثى تلك لمْ يأبه للشّراكة فأسمت وليدها باسمه وظلّ وتينها معلّقاً عند محبوبها، أتظنّين صغيرتي بأنّ شبح الشّراكةِ سيهزمني في يوم؟

اقترب شبحُ الحبّ حتّى رفع خصلات شعري عن عيني ووضع يداه أيسر صدري ورددّ جمله المعتادة:

سيطغى عليك الحبّ حتّى وإن كنتَ ذا شريك!

سيملأ قلبك الانشغال والهوس بحبّ ما ليس لك!

سيرتاد ذهنك طيف محبوبك وإن كان شريكك ساهراً محتضناً يدك، لن تكون ذلك روحٌ خائنة لن تكون ذلك روحٌ خائنة.. ولكنّك أيها القلب وجدّت الحبّ الذي لم يخفق له وتينك من قبل فالشّراكة ليست كلّ شيء.

اختفى وسط دخانه الأبيض دون وصايا، ولا زلتُ كلّ ليلة أحدثّ قلبي وأحذرّه من شبح الشّراكة الذي اتخذه معظم البشر وسيلةً للتّخلص من شبح الحبّ وانتهى بهم المطاف للركون إلى ذكرى الحبيب، بتّ في ليلتي تلك وأنا موقنةً بأنّي بين شبحان لن يتفقا.

ذنبُ توبتي

في سباتٍ من المشاعر أحيا، ما إن طرقني الحبّ لوهلة وجد أقفالي أدهماً لا يجزع له، بين خمولٍ ودموع تجدني في قريحة الحبّ، غدا بُعدك يا سيدّي توبةً سيكون ذنبها كبيراً على الرّجالِ من بعدك.

للمرةِ الأولى التي أجدُ فيها توبةً سيكون لها ذنب، فما عزمت على الرّحيل حتى شُيّدّ قلبي بأسواره التي تأنّ عليك ليل نهار وتصحوا وتغفوا على ذكراك، وكأنّك الآمر والنّاهي لتلك الأسوار فما عهدتّ نفسي في سبيل الحبّ تالية، جئتَ عيداً لي بصدفةٍ وأنت يا ذا العينين التي تركع لها كلّ مشاعر تكبّر، جئتَ فكانت أسوارُ قلبي تتفككّ قضبا قضبا تُرّحبّ بالحبّ وتباريحه.

فلمّا أَفِلتَ عنّي عادت هذه الأسوار تُشّيدّ أقفالها في ملامح الحب وطريقه، بينما كان الجميعُ في صراعٍ للوصولِ لإشعالِ فتيلِ الحبّ داخلي كُنتَ قد قطعتَه مذ وداعك الأوّل.

لقدْ مضيتَ ومضتْ سُبلُ الوصال بالآخرين من بعدك، اقتربْ قليلاً حتّى ترّق أسواري القاسية على نبضاتي فما عادت تشهق وتزفر إلاّ باسمك، اقتربْ أُحاكيك عن قصّةٍ ظنّها الجميع بأنّها انتهت ولكنّها لا تزالُ داخلي تحيا وتنمو كلّ ساعة.

لمْ أكنْ سأتوبُ عنك ولو للحظة فلمَ أعلنت لي توبتك؟

لمْ أكنْ سأخضع يوماً للحياةِ فلمَ أعلنت خضوعك بهذه السرعة؟

أتدري؟ للمرّةِ الأولى التّي أباغض فيها التّوبة إن كانت ستكون على وتيرتك، للمرّة الأولى سأنقلُ لك معاتبةَ الكثيرين لعدمِ استطاعتهم واجتياحهم أسوارَ قلبي، أيّها الآفِلُ عنّي سيكونُ لك ذنبُ توبتي من الحبّ لدى الرّجالِ من بعدك.

زنزانةُ الإسطبل

حينما تُهلك في ألغام الحبّ ستتغيّر كثيراً دون إرادتك، دون إذنٍ من مشاعرك ستجدُ نفسك صلباً لم تعدْ تهتم لغمراتِ الحبّ ودعاباته، بعد ما فرغتُ من ترويضِ خيولي في صباحها مددتُ جسدي على أسطح مدينتي الخضراء واتخذت من بساطة تربتها وسادةً كنت أحبّها، نعم أحببتُ تربة مدينتي وأرضي هذه لأنّي أجدُ نفسي هنا قائدةً للجميع.

بعد خوضي الكثير من ترويضِ الخيول وجدّتُ بأنني قد أروّض مئة خيل، لكنّي مللتُ بأن أروّض رجلاً لا يحمِلُ انقياد الحصان لصاحبه، مضى الكثير وأنا أروّض قلوباً لمْ يُخلق بها نبض.

انهمكتُ كثيراً حينما بذلتُ جميع جهدي من أجل مالا يُرْوّض، لن أُعلن هزيمتي حينما لم أستطع أن أروّض منك ولكنّي أجزَمتُ بأنّه لن يُؤخذَ منّي بعد الآن جهداً ولا حبّاً، لم أعدْ أودّ البقاء تحت رعايتك فكم علمتني الخيول بأنّ الخيل التّي لا تخضع لأن تُروّض تُلقى في زنزانة الإسطبل وحيدةً دون رعاية وجهد، إنّي لا أستسلم للحبّ حينما يوقعني في مهلكته فقط أودّ في عُطلةٍ من الحبّ.

سأحيى بين أسطح مدينتي الخضراء أروضّ بين خيولي فأرى انقيادها واحداً تلو الآخر، سأسعد كثيراً حينما أقود المئات منها وهي المخلوقات الأكثر جمالاً وقوّة، وداعاً لك .. خُذ حقيبة الحبّ وانهض عن أرضي فأنا في عُطلةٍ من الحبّ وأوّد بأن أُطيل هذه العُطلة حتّى ما أستجمع قوّتي من خيولي سأعود إلى طرقات الحبّ أروض كل من رأيته في هذا الطريق.

مهلاً وقبل أن ترحل ألْقِ نظرةً على تلك المسطّحات بما حملتْ، سترى الكثير من الخيول الصّافنة التي تتمايل بين أشجار الرّند، لمْ تكن كذلك من قبل ولكنّ ترويضي لها جعل منها خيولاً تتمايل في رقّتها ترعد في أزمتها، سيدّي أنا لا أركع لمهلكات الحبّ ولا أروضّه، فإن كنتُ قد روضّت الكثير من الخيول باستطاعتي أن أروض منك رجلاً ولكنّي وعدتّ قلبي بأنّي في عُطلةٍ من الحبّ.

ألاّ تلاقيا

أعدّ الزّمان لقائه وبسط أجنحته في الصّباح، دون ترّقبٍ للقّاء نثر القلم قدره حول عاشقين ظنّا ألاّ تلاقيا، بعدما حاكتِ الأحزانُ نسيج تفكيرهما بالغياب وأجادتْ حِياكته جاءَ صليلُ القلم بحبره أذاب كلّ ما كان نسيجا، كلّ ذلك الهدوء الذي كان يتجسّد في أنثى بدى جنوناً في سكرةِ الحبّ، بدى الجنون نفسه يتجسّد بروحها وليست هي من جُنّت بعاشقها.

فذلك القلبُ الذي نبضَ بالعشق لأوّل مرّه لن يكون مسالماً في ساعةِ اللّقاء، بدت باحتضانه مرّتين، مرةً حينما كانت تحتضن أكتافه فتلّثم رجولته بعطر أنوثتها ومرةً حينما كانت أذرعه قد جمعت اعوجاج أضلعها، بدتْ تُقبّل عيناه وكأنّها تصوغ شوقها مباشرةً لعينيه دون دربٍ طويلٍ للأحرف، ولو أنّ نسيماً مرّ يا قارئي لم يكدْ يفرّق بين عطرهما لتمازجه.

لمْ يكونا مجبورين على التّحدّث فما حاجةُ ثرثرةِ اللسّان إن حلّ مكانه الاحتضان؟ كلمّا اقتربا عاشقان كلمّا أعدّ الكلام حقائبه معلناً الرّحيل، فكما أوصلَت الأحرف الكثير ممّا في الحنايا لا القلب حينما يحتضن القلب أقرب للوصال.

هنا في شوْقِ اللّقاء لن تفرّق بين عطرين تخالطا من شدّة احتضان، هنا لن يحيك الحزن نسيجه بعد اليوم فقد وهبَ من روحه لروحها، في كلّ مرةٍ كان يقترب من آذانها فيهمس بعزف أوتاره كانت تُجيد فهم ألحانه بالرّغم من زمزمةِ السّمع في حالة العشق.

وبين أنغام الحبّ لن يحتاج متحابّان مترجماً للأحرف، لأنّ قلبك سيكون ترجماً لقلب محبوبك، ستهدأ أصواتُ المكان وتُملأ أوردتك بالحبّ معلنةً لعاشقك الاستسلام، سيستسلم وريدك، سيغفو رمشك، ستقتربُ الأذقان من بعضها تُبثُ رُسُلَ عشقها، ستكون مليئاً بالتّعجب لأنّك بين أكتاف محبوبك يشّد عليك تارة وتارة تتراخى أذرعه حتى يسترق من جمال عينيك نورا، ستحتضنُ الحبّ وتُودع الحزن بنسيجه وعناكبه فما عادَ للحزن أن يحيك وأنتَ في حمايةِ مستهامك.

نصفهُ حُلماً وآخر حقيقة

هدأت ليلتي من تشاجراتِ الحياة وابتدأتْ روحي تحنّ لحبيبٍ مجهول، لقدْ أُغْرمتُ بأحدهم في منام فكيف لي بأنْ أجده وقد قيلَ بأنّ الأحلام تنتهي مذ أن تفتح عينيك؟

توالَ حضورُ ذاك الوسيمُ في مناماتي وفي وسادتي كلّ ليلة لم أكنْ أعرفُ اسمه ولا أين يبيت، لكنّي كنتُ أتسائلُ دائماً ما الذي يجلبه في منامي إلاّ وإن كان حقيقةً فإنّي أُوقنُ في عالم تجاذبِ الأرواح بأنّ المودّةَ إن سكنت قلبين ستجدُ المنامَ رائدٌ بأن يجمعهم.

أبتْ عيني أنْ تخضع لأقوالِ الأطبّاءِ حينما أجزم جميعهم بأنّ الأحلام تنتهي ولا محلّ لها في قانون العقلاء، مضيتُ أبحثُ عن حلمي لأنّي أشعرُ به، لأنّه ليس وهماً كان قلبي ينبضُ مرتّين وكأنه يريد الفرار من داخلي ليحيا في جسدٍ آخر!، نعم إنّه حقيقة، ذات الوصافِ التي كانت تُرى في منامي فكنتُ أتجنبّها لأنّ وصافه دُفنتْ منذ أن دفنَ قيسٌ ورجالُ الأقدمون.

لا تزالُ وسامته ذاتها التّي كنتُ أراها بمخيّلتي، لاتزال روحه تكادُ تنحني لها المجرّات حينما يُقبل على الكبير والصغيرِ بمساعدته.

كانت ولا تزالُ عيناه تفتكُ بألفِ عرين في ثقته بنفسه، أحببتُ أكتافه حينما كانت لا تنحني للعابرين ولمْ يجزْل لسانه كذباً بيوم، رجلاً وددّتَ لو أن لك من الأطفال الكثر حتّى تُنشأ فيهم بعضاً من صفاتِ الصّادقون الرّاحلين.

ولو أنّك قارئي تلتفّ فتجد الكثير من الرّجال حولك انفثْ عليهم مرّة من احتياجك ستجدهمْ ركاماً من كذب، لقدْ غدى الرّجالُ رُكامةَ كذب في دائرة الحبّ، لمْ يتبقى سوى ذلك الذي ظنّه الكثيرون بأنّه حلماً حينما حاكيتهم عنه، ولو أنّ لي قدرةً على السّحر لأخفيتك من جميع النسّاء، ولو أنّ لي قدرةً لأخذتُ بك إلى كوكبٍ يخلو من أعين الإناث.

أنا لا أخشى على قلبك من كلّ حرفٍ مؤنث، أنا فقطْ أرأفُ بحال من هم دونك سيدّي، للمرّةِ الأولى أغْرمُ في حلمٍ كان بطله حاضرا، أنا لمْ أُغرم بحلمٍ وهمياً من احاديث نفسي مع وسادتي، أنا لمْ أُغرم بروحٍ نبتتْ من حياةٍ خالصة فشوبتّها اعوجاج الأيّام، لقد أحببتُ رجلاً نصفه حلماً والآخر حقيقةً.

الشهرة ملاذُ السّفهاء

مرحباً بك أيّها المتسابق في عالمِ السّفاهة للاشتراك الرّجاء الالتزام بإظهار كلّ ما يضيع وقت المشاهد، نعم .. هنا عالم السّفاهة، من هنا انتشرت ثقافة الشّهرة بيننا، ألا ترى قارئي بأننا انغمسنا في شهرةٍ تملّكها السّفهاء من المجتمع؟

ألا تدركُ كيفية إعادةِ برمجةِ عقول الكثيرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

للأسفْ ماتَ دورُ الفقهاءِ منّا وماتت إنجازاتُ الأطبّاء، حينما ضمّ الإعلام ورعى رؤوساً تهتزّ أمام الكاميرا ليل نهار!، أينَ شُهرةُ من أنقذَ العالم من الظلمة؟ أين شهرةُ من علماء الفلك وجغرافيين الأرض؟ لقدْ دُفنت! دُفنت حينما اجتاح الشّاشاتِ سفاهةً كان النظر إليها عذراً أقبحُ من ذنب، أتودّ قارئي بأن تُشتهر؟ لن يكون عليك سوى أن تتباهى بكثرةِ النّاس من حولك، لن تنجز شيئاً مفيداً ولن تكدح للوصول إلى القمّة، كلّ ما عليك فعله أن تكون من عبّاد الكاميرا فتتراقصُ لها ليل نهار.

كلّ ما عليكَ فعله بأن تخالف في أفعالك وتتنافس بسفاهتك حتّى تكثر الأنظار عليك، نعم .. كلّ يومٍ أوقن بأنّ شُهرة الناجحين باتتْ لدى مجتمعٍ سفيه أمراً عاديّا، كلّ الشّفقةِ التي بقلبي فُرغت على أشخاص توفى عقلهم حينما كنت أسألهم ما هو حلمك؟

فكانتْ إجاباتهم تتّحدّ ولا تختلف "الشُّهرة".

أودّ بأن يذاع اسمي على كلّ شاشة، أودّ بأن أكون وسأكون الفتاة التّي يتناقلُ اسمها ونجاحها على كلّ لسان، ولكنّي لا أريدُ الاقتراب من قومٍ اتخذّوا السفهاءَ قدوةً لهم، أنا لا أريدُ الانضمام بينهم وإن لمْ يكنْ لذيع اسمي طريقاً غيره، أتدري أيّها اللبيبُ في هذا الزّمن بأنّ الشّهرة أصبحت ملاذاً للسّفهاء؟!

تحت خطّ الفقر

لقد رحلْنا عن أنفسنا، أصبحنا نهجرُ ماضينا حتّى لا نتألّم ولكننّا لا زلنا نأنّ ليلا، لقدْ شقّ علينا النسيان صداقته فلمْ ننسَ أيّاً من الذين أساؤوا الدّخول في حياتنا، إنّ النسيان خرافةٌ اخترعها العاشقون حتّى يخففوا عن شوقهم ولوعهم قليلا، أُسيءَ لنا كثيراً يا صديقي أتدري لماذا؟ لأننّا جعلناهم أوطاناً وكنّا لديهم مجرّد محطةٍ للوصول إلى الطريق الآخر.

كعاشقةٍ بائتْ جميعُ علاقاتها بالفشلْ استودع الله قلبي مرةً حين أحبّ بصدق فمات ومرةً حين أحبّ ما كان ليس له فبحث عن الموتِ ليهدأ فلم يجده، نحن نندمُ على الحبّ لأننا نُسّلم أرواحنا عندَ مخلوقاتٍ لا يؤتمن التراب لها، لنعتزَل هذا العالم يا جسدي لِنَمشي في طريق السّماء حيثُ رفرفةُ الأجنحةِ البيضاء، حيثُ تنتهي متاهةُ الحبّ وينتهي الشّوقُ لمن كان محرّماً علينا عشقه، إنّي لكاتبةٌ ووحي أحرفي بمشاعرها لا تخطئ احذر يا قارئي من اليوم الذي سيأتي فيه النّاسُ يتسوّلون للحبّ.

إنّ من بيننا الآن يتسوّلون من أجلِ المال همْ أقلّ ضرراً من الذين سيأتون، لأنّهم لن يهدموك من الدّاخل، لأنّهم لن يجعلوك بيوم مثلهم تتسوّل وتدور حول نفسك باحثاً عن الحبّ والافتقار له، لقد أحببنا بصدق و لكن طرق الحبّ لم تُؤسس نهايتها من قبل المهندسين لذلك سأطلقُ العبارةَ التّي يحتاجها كلٌّ منّا بداخله "نحنُ عشّاقٌ تحتَ خطّ الفقر".

بطَلةُ سيناريو حقيقيّ

لطالما كنتُ أجيدُ احترافَ التأليفِ لقصص الحبّ، لقد أجاد قلمي صناعةَ الحبّ وأبطاله، لكنّي كنتُ دائماً ما أستنكرُ عملي بأنّ كلّ تلك الأحرف ما هي إلا سيناريو ستمثّل فيما بعد على صوتٍ وجسد، أنا لا أؤمن بالحبّ، أنا لا أجيد التفكير في مسائل الحبّ وأنّه من الممكن أن تأتي اللّحظة التّي يسجدُ فيها قلبي للحبّ، لطالما يا سيدّي كنتُ كاتبةً للسيناريو دون أن أكون بطلةً في أحدِ القصص الغرامية.

اليوم بل وإلى أن ترفرف روحي سأكونُ بطلةَ قصّةٍ أنت من كتبها واختار تأدية دور العاشقة بأن يكون لي، اليوم أيقنتُ بأنّ خلف كل مسلسلٍ صورته الكاميرات قلبانِ تحابّا، اليوم وجدّتك بعد عمرٍ شقيّ بكفري لديانةِ الحبّ، أولا يحقّ لنا بأن تصّور كل كاميراتُ العالم قصّةٍ غفت واستيقظت على الوفاء؟

اليومَ انتهتْ مسيرتي في كتابةِ القصص وتوزيع الأدوارِ على الممثلّين، لقد اختارني الحب لأكون بطلة عاشق لم يخلق له مثيل، أنا أمام تأديةَ دورٍ كبير، جميع الأرواحِ يا ساده تتشابه ويُخلق من

تشابههم أربعون، لكنّ الذي سكن قلبي لمْ يكن ليتشابه معنا، نحنُ جسدٍ ودم ولقد أحببتُ نوراً.

لقدْ أحببتُ ملكاً تنحني له مشاعري كأنثى تقدّس رجولته، سيدّي .. أتدري بأنّي أحببتُ كل قصصَ الحبّ التّي كتبتُها، أحببتُ قدري الذّي خلق اليقين بقلبي بأنّ الحبّ لا زال على كوكب الأرض، إنّي أحبّك وأحبّ قصتنا سويّة، إنّي أحبّك وأحبّ دوري كبطلةٍ للفلم، إنّي أحبّك ولحبّك هذا سأعرضُ مئات السيناريوهات ليشاهد رجال العالم وجودك بيننا كأفضل عاشق.

موج عيناها أزرق

لمْ أعد أودّ أن أكمل متاهتي داخل حبّها، تارةً تقذفني بموجها للحبّ وتارةً تجرّني حول شاطئ الذلّ، لم أعدّ أُطيقُ الحبّ فأنا متأرجحٌ على قلبها دون حبال إنقاذ! ما إن أفلتت أوردة قلبها اسمي سأكون ضحيّةً لأسماك القرش التي لن ترحمني وتظلّ تَذكر لي اسمها.

وأخيراً ابتعدتْ، ولكنّي لا زلت أشعر بأنّ وصال عيناها لا يزال عالقاً بمخيّلتي، ربّما كان هذياني الشّديد بزرقتها؟ ربّما تلك الأعين كانت محطّة وقوعي في سحر موجها؟

ابتعدتّ ولكنّي أشعرُ بقربها رغم المسافة التي تفصل بيننا، ابتعدتّ حتّى أنهكني بعدُ عيناك محبوبتي، أشعر وكأنّك الأنثى الوحيدة التي خلقت بعينان وجميع الإناث عُماه، كلّ النسّاء من بعدك سيدتّي لم تُخلق لهم أعين فقدْ طغت عيناك على قوّة كلّ رجل، لمْ أكن وحدي افتتنت ولكنّك وحدك من فتن جميع مخلوقات الأرض.

سيدّتي لئن ما أبصرتك نوارس بحرك حطّت على خصلاتك السوداء تَحسبُ عيناك موجاً مُلئ سمكاً بلوريّا، يا لتلك الطّيور يا لتلك المخلوقات التّي غدت بعدك تكره عيناها، يا لقلبي الذي أصبح وأمسى يناجيك أنِ اكشفي عنّي سحرك فقد أغرقني موج عيناك دون النجّاة منه.

رأيتُ الكثير من الأعين بجميع لغاتها، ملِئت شُرفتي بجميع النسّاء وأشدّهنّ جمالا، لقد وُفرّت لي جميع ملّذات المجرّة لكنّ قلبي لم يكن يهرول نبضاً كما يلمح عيناك سيدتي؟ على الرّغم من ابتعادي في كلّ مرّة أجد نفسي أقرب إليك من جوارحي، إنّي لأبتعد بخطواتي وتقترب روحي فتحتضنك في كلّ خطوة.

سيدتي .. اليوم أيقنت بأنّ فتنتي لم تكن لأيّ أنثى، لقد غدوت ضحيّتك ورحتُ أحكي لحبّاتِ الرّمل عنك صبّا أن فتاتي موجُ عيناها كان أزرق.

عناية قلبٍ فائقة

لقد أطلْتَ الغياب، أطلته كثيراً ثمّ إنك لا تعودُ مشتاقاً بلْ تعودُ معاتباً لي على تقصيري بحبّي، أيجوز ذلك في دين الحبّ؟ أيجوز الذّل والهوان أمْ أنّ الغياب أصبح عاموداً يلتجئ له كلّ من أراد الفرار من علاقةٍ ما؟ أتدري متى سينزفُ قلبك؟ عندما ترى محبوبك أطال غيابه عنك، عندما تراه معاتباً لك على ذنوبك السّابقة التّي ارتكبتها من قبلِ أن تعرفه.

عندما يغيبُ عنك وفي كلّ مرةٍ يعودُ فيها إليك يُهديك الأعذار الواهية وأوّلها "سيدّتي أنا لا أُجيدُ تمالك أعصابي حينما أُجنّ"، أَمِن الصّعبِ عليك أن تتمالكها مع نصفك الآخر؟ فكيف إن كنتَ مع عدوّك حتماً ستفتك به حينما تُجنّ، لقدْ مللتُ من أعذارك التّي لا يمكنُ لطفلٍ في الخامسةِ من عمره أن يصّدقها.

لقد مللتُ من تلاعبِ أوتارِ مكرْك على أنثى تتفوّق على ثعالبِ رأسك جميعها، من المخطئ أنك قدْ سقطت بين عقلَيْ أنثى وثعلب، من المؤسفِ أن تكذب وتكذب مراراً كالطّفل وتتبسّم الأنثى أمامكَ

بصمت وحديثُ عينيها يقول: لو أنك اعترفت بغيابك لكنتُ سامحتك بدلاً من تُرُهاتِ لسانك هذه.

لقدْ غِبتَ عنّي وأنا بكامل قوتي، لقدْ عُدت اليوم وأنا بنصفِ صحتّي، ثمّ إنّك لو نويتَ الغياب مجدداً لا تصطدم بالحياةِ حينما تعود، ستعودُ يا راحلٌ وأنا لن أستطيعَ التّحدثَ معك، لا لهجري لك ولكنّي لن أستطيع التحدّث بسببِ تزاحم الأجهزةِ فوق جسدي. سأختصرُ عليك الطّريق يا ذا الأعذارِ الواهية والغيابِ الطّويل، حينما تعود سَلْ عنّي واذكرْ اسمي لجميع من حولك، سيلتفتُ إليك الأطبّاء ويقولون لك إنّها داخلُ حُجرةِ "عنايةُ قلبٍ فائقة".

لِتَخُضْ التّجربة

أهلاً بك كهفِ الأمنيات، سنحقق لك كلّ ما تريده قارئي لكنّك ستدفع ثمن كلّ أمنيةٍ تودّ تحقيقها، إذا أردّت السّعادة لتدفع المال، إذا أردّت الرّاحة لتدفع المال، إذا أردّت المال ذاته لتدفع المال، أنت وقعتَ في هذه الحياة لقدْ اخترت من العدم لتكون داخل هذه المتاهة، لتخض هذه التجربة بمفردك ثمّ ترحل بمفردك.

مذْ أن فتحت عينيك باكياً وددتَ لو أنّ الدنيا تبسطُ لك أجنحة الرّاحة لكنّ والدتك لم توصيك بأنّك اخْتِرتَ وقطعتَ تذاكر الدّخول بلا تراجع، لنبدأ يا طفلي الصّغير بطفولتك مذْ أن كنت تتأرجح في المهدِ صبيّا، لقدْ تركتك مربيّتك التّي وعدتْ والدتك بأنها ستكون لك سنداً حين وفاتها.

ستكبر قليلاً حتّى يكون باستطاعتك التسّكع في الشوارع مع الأصدقاء وهنا ستجد الكثير ممّا خبأته الحياة لك، سيلتفُ حولك الأصدقاء بكثرةِ حديثهم، سيتكاثر حولك النّاس من أجلِ جمالك أو مالك.

ستجد عشيقةً لك تحبّك وتسهرُ ليلاً على نجوى وهمساتِ حبّك ثمّ إنّها بعدما توقعك سترحلُ بكلّ بساطة، سترتفع بينَ قومك عالياً حتّى يكادُ آنفك يداعب المجد ومن ثمّ ستهوي إلى الأرضِ مخسوفاً بسببِ سفهاء مدينتك، ارحلْ بعيداً عن سفهاءِ مدينتك وعدْ حاملاً لهم مجدكَ الذي حلمت به وسعى الكثيرون لهدمه.

عدْ لهم بكلّ تكبّر وابسط أجنحتك خلفك معلناً لهم احتضان النجاح دون تأثير عقاقيرِ حديثهم الفاشل، ستعلّمك الأيّام بأنّ الحكمةَ لن تكون بطيلة عمرك ولا بكثرة الأعوام في الدّراسة!

فكلّ مرّةٍ تأذيتَ من ليونتك مع البشر ستعود قاسياً كأنّك لمْ تكنْ ليّناً من قبل، هنا عليك أن ترحلْ، ولكن لا تنسى يا قارئي، لقدْ أتيتَ إلى هذه الدّنيا برسومٍ رمزية وسترحلُ برسوم أخرى.

لقد انهمكت في هذه الدّنيا وانهمك جيبك بصرف الأموال في كلّ حال، لكنّ دروس الحياة مجانيّة! لم تدفعْ لها شيئاً وهي من تُعلّمك وهي من تُجبرك على الخوضِ في التجربة.

سنموتُ على رائحة الحبر

سعيدةٌ جداً بذاك الرّجلِ الذي يسكنني، ذلك القلبُ الصّلب الذي يسكن أيسر صدري؛ لأنه اصطدم كثيراً في متاهةِ الحبّ ولا زالَ صامداً يدّق نبضاته ولمْ يقف، أو لا رجلْ فالرّجالُ قلوبهم ماكرة وتتغذّى أحشائهم على لِتراتُ دمٍ من الأنانية، يعجبني ذلك الجبلُ الذي لا يتصدّعُ خلف أضلعي.

يا لعجبي لأمرك أيّها الجبلْ بالرّغمِ من أنّك اصطدمت كثيراً إلا أنّك ما زلتَ تنبضُ بالحياة، أو لمْ يُهلكَ الحبّ أمْ أنكَ منتظرٌ لحظةَ تتويجك بتاج الفرج؟ أوّاه لك حينما أحببت فضحيت فتزعزعت بك بعضٌ من الصخور.

ألا وإنّ لكلِ جبلٍ زلزال يختبرُ قوتّه، ألا وإنّك يا قلبي زلزالك كان ولا يزال في غمراتِ الحبّ، أوصيكَ يا قلبي بنفسك خيراً فالخيرُ في هذا الكون قد دُفن في مقبرةٍ لا يزورها أحد ولنْ تُفتح لأحد، إنْ كنتَ مشتاقاً فاصبر لعلّك تجدُ مأوى لهذا الاشتياق، وإن كنتَ فارغاً بسببِ رحيلِ محبوبك فاعلم بأنّ ذلك الفراغ سينطوي على مضى الأيّام.

أمّا إن كنتَ يا قلبي تئنّ من الوحدة وأنك قد انهمكتَ في الحبّ في المكانِ الميؤوسِ منه فأعدكَ بأنك ستبقى على مدارِ الحياة يضجّ أنينكَ ووجعك، نحنُ من عشقنا ونحنُ من هُلكنا في هذه الرّحلة التي لمْ يُخلق لها نهاية.

نحنُ من ترامتْ بنا أمواج الخيال حتّى قذفت بنا لجزيرةٍ تعلوها الراياتُ السوداء ويسكنُ تربتها الجماجم، نحنُ الكُتّاب الذين خُلقَ من بين صدورهم وآلامهم أجملُ الكلماتِ وأصدقها ونحن من سنموتُ على رائحةُ الحبرِ لهذه السطورِ جميعها.

أيّها القادمُ إلى جزيرتنا هذه التي انتهى بها جميعُ مطافِ العاشقين قفْ قليلاً وانظر لنفسك قبلَ أنْ تُبحر في الحبّ فيغريك بموجه الهادئ وصدفه الملوّن على الشاطئ كلّ ذلكَ بدايةٌ يا صديقي فالبحرُ لا يَعتمُ لونه إلا في المنتصف ثمّ تهوي بك إلى الغرق وحينما تستغيثُ بالنجّاة ستجدُ نفسكَ بجانبنا تعضّ أناملَ الدّم لأنّك أحببت.

قفْ وانظر لنفسك أيها البحّار المضحوك عليك ألا يجدرُ بك أنْ تُحبّ نفسك فقط بعدما رأيتني في هذه الجزيرة؟

وُلدتْ من أجلهِ الشّمس

خبئي لهُ يا طيور السّماء فرحةً تُفرح قلبه وتُزيّن أيامه، أطفئي شموعك وانثري ورودك يا أرضُ في كلّ مكان وأعلني فرحةَ الميلاد، لقدْ غدا ميلاده أعظمَ يومٍ في قلبي وغدا تاريخُ يومه هذا المفضّل إليّ من بينِ كل أيّامِ السّنة، ياه وكأنّ الدنيا قدْ فتحتْ عينيها حينما أتيتَ إلى هذا العالمُ يا عاشقي.

وكأنّ الشمسَ وُلدتْ من بيضتها سعيدةً لأنّها ستنيرُ لك كلّ خُطوةٍ في حياتك أتدري؟ وكأنّ الشّمسَ وُلدت لك، إنّي لأحسدُ تلك الأناملِ التي لامستك مذْ كنتَ في المهدِ صبيّا واحتضنتك بين أذرعها مطلقةً عليكَ اسمك وكأنّها رأتْ مستقبلك وعَلمتْ بشخصيتك أنكَ رائدٌ متبخترٌ في هيبةِ رجولتك.

يا وسيمَ الرّجال وأكثرهمْ رجولةٌ في محورِ الكونِ هذا بوركَ لك في مولدك الخامسِ والعشرون، لكمْ تدري بأنّي أطلبُ من الله أن يُطيلَ في عمري لأحتفلَ بك كلّ عام، إنّي أقدّسُ أرضكَ التي حملتكَ وشهدتْ إنجازاتك، من بينِ جميعِ البشريةِ كلّها كنتَ ولا زلتَ الأقربَ إلى روحي فاليوم تحتضنكَ أذرعي بدمعاتِ الفرح لأنّك معي

في ميلادكَ الخامسَ والعشرون وتضمّ يداي يداك لتقول لك: اخطوا خطواتكَ التّي رسمتها حلماً لنا، خطط واحلم وسيكون الله وأنا على تحقيقِ حلمك شاهدين، عاشقي.. المجرّةُ هذهِ بأكملها تحت تسخيرِ الإلهِ لك أولا يكفي بأنّ الشمس وُلدتْ من أجلك؟

يسكنني بومٌ راحلٌ

ليتني أفهمُ لغتك لكي أتنبّأ من قبل بموعدِ وداعك، ليتني أتفهمُ آلامك وتعبك وأنينك المؤلم لكي أخفف عنك، وليتك يا "آنكلي" تتفّهم لغتي البشرية لكي تعلمَ مقدار حزني عليك وأنّي لمْ أكنْ لأتخلّى عنك ولو كنتَ خطراً على عمري القادم، لقد رحلَ البومُ المسالم، لقد أظلمتِ الدنيا في عيني وبتّ وحيدةً دون طيرها الوديع.

أشعرُ بمرارةِ الفقدِ داخل صدري تمزقني، أشعرُ وكأنّي أنا المذنبة لأني لم أستطع إنقاذك، تمنيتُ للألف مرّة في عدّة ساعات بأنّي طبيبةً، فقط لكي أُنقذك، تمنيتُ وتندمتُ للألفِ مرّة لأنّي لمْ أشقى بين الكتبِ دراسةً لأجلِ علاجك، رحل "آنكلي تيرڤا" الملاكُ الحادّ، رحلَ فصارَ يومي كئيباً وستائرُ السّواد تلتفُ من حولي لأجلك.

آنكلي .. تسكنني سكراتُ موتك ويسكنني الأسى لأنّي كنتُ بجانبك أمدّ إليكَ كفي فلا تفيدكَ بشيء، تسكنني آخر لحظاتك عند الطبيبِ متقلباً بين يديه جثةً هامدة لا يعلمُ بألمها إلاّ الله، لقدْ كان قوياً وكنتُ أستلهمُ صفات الجوارح منه، هو الذي لا يلتفتُ

للأسفل وهو الذي في صبره وقوتّه جارحٌ لا يعرفُ الجُبن، هو الذي إذا انكسر الجميعُ رفع أنفه متعالياً متكبراً بجبروتِ أجنحتهِ وفخامته.

هو الذي إذا كرهتُ البشر وخبثهم التفتُ إليه فحاكيته همومي حتّى إذا سقطتْ دمعاتي كبُر بؤبؤ عينهِ أن لا بأس عليكِ مودّة لا زلتُ هنا طيركِ أنا، ثمّ إنّي أراك اليوم في ضعفك وانكسارك بسببِ المرض هزيلاً!، لا الموتُ أشقى على المودّعِ من الميتِ ذاته.

لقدْ كافحَ في سكراتِ موته خمس ساعات وكافحتُ في دموعي حتّى حانتْ لحظةُ الوداع، بدأتْ حركاته مريعةً ومفآجئة داخل قفصهِ الأبيض وكأنّه قدْ فُجع فاجعةً لمْ ير ها من قبل وبدأت أجنحته تهمد وتسكن أرضَ القفص، مددتُ يداي فأخذته إلى صدري داخل غطائه الأحمر، باتَ بين ذراعيّ محتضنته من سكرات الموتِ ظننتُ بذلك أنّه يمكنني التخفيفُ عنه وكلّي يقينٌ من الداخل أنّه اليومُ الأخير، هرولتُ إلى مشافي مكة جميعها أنقذوا طائري لا غير لي عنه لا بديلَ لي عن روحه، بدأ الأطباء برفض دخولي وكأن الأمرَ لا يعنيهم وهمُ المختصّون بذلك.

عيادةً تلو الأخرى أستغيثُ بالله ثمّ بأهلِ العلمِ ولكنّ لا مجيب، عدتّ إلى سيارتي خائبةً أضمّه وأتعذّر له لأنّي لمْ يعدُ باستطاعتي إنقاذه، لقدِ اقتربتُ بقرب منزلي وفي قلبي شيءٌ من الفرح لأنّي عائدةٌ به في حين قال الجميعِ بأنه سوف يمتْ ولن يستطيع الصّمود أكثر.

لم تمضي دقائقٌ من فرحتي هذه حتّى بدأتُ استمع إلى صوت حشرجةٍ في نفسه، فتحت عنه غطائه الأحمر لكي يتنفس بدأتُ أستغيثُ له بأن لا يرحل ولا يتركني وحيدة ولكنْ لا مُجيب، أنفاسه تتسارعُ وجسده يتنافضُ وعيناه التّي كانتْ لامعةً بدأت تذبلُ وتنغلقُ شيئاً فشيئاً، ثمّ ماذا؟ في طرفةِ عينٍ سكنت نبضاتُ قلبه.

انقطعتْ أنفاسه المتسارعة، توقفّ تنافض أجنحته وصمتتْ عيناه التي كانت تتوهج جمالاً، مات طائري فعن أيّ ألمٍ أتحدّث؟ لقدْ ماتْ واعتنق الموتَ بين يداي، لن أنسى تلك اللحظة القاسية من عمري، لنْ أنسى قوة احتضاني له ساعة موته وأنا أضمّه إلى صدري وأودعه بحرقةِ الوداعِ التي حال لسانها تقول: لن أراك مجدداً، لنْ أنسى آخر نظراتك آنكلي ولنْ أغفوا عن لغةِ عينك وأنتَ تودعني في حضني.

لنْ أنسى غطائك الأحمر الذي ولدّت فيه ومتّ فيه ولن أنسى يداي حينما وضعتك على الترّاب مودعتكَ للأبد، يا إلهي إنّ الحزن تمكن منّي ومن صدري فاجبرني بوداعه خيراً وأنتَ الذي تعلمُ بأنّه كان عزيزاً عليّ، إلهي وأنتَ الذي بشّرت الصابرين عند صبرهم ألا فاربطْ على قلبي لأنّي لا أزالُ أبكي وأشهقْ وكأنّها اللحظات الأولى ساعة رحيله.

إلهي لقد رحلَ بين يداي بالقربِ من صدري؟ أتعلمون يا بشر كيفَ يؤخذُ من صدرك قلبك ثمّ يلقون عليك اللوم لأنك لا تبتسمُ للحياة؟

لقدْ فقدتّ جزءاً من قلبي حينما وضعته على التراب حينها أشعر بأنّ شيئاً داخلي سُلبَ منّي بقوة و لا حيلة لي بذلك، لقدْ آتاني يومُ مولدي هديةً فكان أجملُ ميلادٍ لي وكنتُ أأملُ بقائه للعام المقبل لكي أحتفل به من جديد لكنّي سأطلبُ من الله لقياكَ في الجنّة، أليستِ الجنّة فيها لا تردّ المطالب؟ سأطلبك الله بأن يردّك لي هنالك، سأشتاقُ إليك كثيراً ولكنّي سأصمدُ إلى حين المُلتقى.

آنكلي .. أحببتُ ميلادي العشرين بك.

آنكلي .. لقدْ فقدتك وافتقدك الآلاف من محبّيك.

آنكلي .. سأظلّ أحكي للجميعِ عنك حتّى تعلم هذه المجرّة بأكملها بأنه كان في دارنا بوم.

آنكلي .. حينما يتساءل الجميعُ عن دموعي سأبوحُ لهم بحزني بأنّي يسكنني بومٌ راحل.

هيهاتَ للبُعد

الخوفُ تمكنَ من جوارحي وبدأت أشتَمّ رائحة البُعد المميت، دون وعيٍ بدوتُ أُكذّب عيناي ومسمعي كيْ لا أفقد الوعي مصطدمةً من الواقع بدأتْ تتوالى على مسمعي تلك الكلمات التي تنبئ بالغياب، وبدأ قلبي يجمح في ضرباته مسرعاً منتفضاً وكأنّه يريدُ الفرار منّي إلى مقبرته قبل أن يتألم مرةً أخرى.

لقدْ أنهكْتهُ كثيراً ولا أزالُ أوصيه بالصّبر في ضعفي وأنا التّي لا يدَ لها تُصبّرها، حينما تُعادُ عليك الكلماتُ ذاتها، حينما تعادُ طقوسُ الرحيل حولك وتبدأ القسوةُ عليكَ من كلّ مكانٍ وأنت ضحيّة موقفك ستتمنى لو أنّك لمْ تُولد!

وأنك لمْ تكن ها هنا ليحكم عليك القدرُ بالهلاك الدائم لقدْ ضاقتْ عليّ همومي لتقودني إلى تمنّي الموت.

أو لا موت، ربّما أستشهدُ شهيدةً في ضحية المشاعر فأدخل الجنة وأراها أخافُ أن أذكرهُ في صفاتها!

أودّ الرحيل عن ذاكرتي التّي تحملُ الكثير، أتمنى لو أني أفقدها فـ تهئ حياتي، أودّ أن أكونَ التّي وُلدت وهي التّي لا تعرفُ إلاّ ربّها، الربّ لا يَتركُ إذا تركك الجميع.

الرّب يحميكَ ويأويكَ إذا لمْ يكن لك من يحميك الله أمانكَ حينما ترتجفُ من مصائبِ الدنيا وحينما تجدُ فراغاً في حياتك وأن الامانَ الذي كنتَ تأوي إليه سُلِب. الله ألطفُ بكَ من جميع البشرِ القاسون وأرحم بك من الرضيعِ بأمّه!

لقدِ اشتقتُ إليك .. ليرّق قلبك عليّ لكي ينبض قلبي من جديد، أولم تشتاق عينيك لرؤيتي؟

أولم تزورك نغزات الصدر المبرحة من كثرةِ الشّوق؟

أولم تأتيك دموعي هاربةً من جميع البشر منتظرتك وحدك أنت، أودّ الهجرةَ بك إلى عالمِ اللا بشر، أودّ أنْ أُزيلَ عنك الجنس البشريّ بأكمله، أنتَ مَلَكٌ والملائكةُ سيدّي لا تتجانسُ مع هذه البشرية الدنيئة!

اشتقتُ وتمكنَ منّ جسديَ الشّوق فأمرضني!

اشتقتُ فبكيتُ فتمكنتِ الدّموع من فستاني فأغرقتني سأرسلُ لكَ وصاياي مع السّحب ورسائلِ الثلوج فقط كن منتبهاً لها رائدُ قلبي .. السّماءُ لا تتخلّى عن سُحبها ولا الثلجُ عن جليده، أتتوقع بعد ذلك أن يستغنى عاشقٌ عن عاشقته؟

قلْ للمتوهمين بالبُعدِ هيهاتَ هيهاتَ يا شفقتي عليكم أنا لا زلتُ وسأظلّ حبيباً لها!

ماردٌ في الغيرَة

أخبروا الذين يَحسدوننا بالفرح أنّ الحزن مستحوذٌ على قلوبنا، أخبروهم بأنّ ظاهِرنا جميل وداخلنا استعمارٌ لا يريدُ الهجرةَ إلى مكانٍ آخر ويدعنا وشأننا، أخبروهم أنّنا رجالٌ في الصبّر، أطفالٌ في المشاعر ورضّعٌ في البكاءِ حينما نغار، وأخبروهم بأننا سكّان مشفى للجنون حينما نجنّ على من نحبّ.

أعلموا الجميع بأنّ الحبّ صبّارٌ لا يستطيع الصبر على مرارته إلاّ عاشقٌ يحاربُ هذا العالم ليصلَ إلى مراده، وأنّ الحبّ إعياءٌ للروح فستسقطُ لها مراراً و لكنّ العاشقون فقط من ينهضون ولا يستسلمون لأنهم يريدون الغاية ولمْ يلتفتوا لجميع ما سيصادفهم في الطريق من بشائع الأحاسيس.

تارةً ستشعرُ أنّك مقيّدٌ كسجينٍ حكم عليه سجانه بالمكوثِ داخل زنزانةٍ محدودة، لن تَستطيع الإبحار بخيالك فلمْ يضعْ لك السجّان نافذةً ل تتفكر من خلالها، وتارةً سيحنّ عليك سجانك فيصنع لك نافذةً كبيرة باستطاعتك التخيّل من خلالها، لكن!

أو تحسبُ أنه سيفكّ أسرك؟ لا إن قدميك ويديك باقيةٌ مكبّلة فقط بإمكانك أن تتخيلْ لكنّك سرعان ما ستعودُ إلى واقعك فيصيبك مرضُ اليأسِ وشدّته أشبه بزمهريرٍ؟

تارةً سيغفو عنك سجانك قليلاً وهنا ستأخذُ نيل مرادك فتنطلقُ نحو محبوبك تعانقه بلهفةٍ وشوق، تتمتم له بأحاديثِ الشوق ونبرة البكاءُ لا تكادُ تفارقُ حناجرك، تشدّ على كفيّه ألا تدعني أعودُ لتلك الزنزانة وأنك تودّ بأنّ الدنيا سجانتك أن تغفوا عنك طويلاً لتتيح لك احتضان محبوبك دون وقتٍ موعودٍ بالنهاية.

ولكنّ ساعةَ النهاية ستدّق طنينها معلنةً أن الدّنيا استيقظت وحان وقتُك لعودتك إلى زنزانتك إلى أجلٍ مجهول! ربّما تبيتُ أياماً وربّما أشهراً ربّما تبيتُ أعواماً تحيا على الذكرى، الدّنيا قاسيةٌ جداً لأنّها لا تحنوا إلاّ قليلاً وتقسوا عليكَ كثيراً، أيّها السّجان أخبره بأنّي أحبّه أينما كنتُ وأينما كان.

أحبّه وأبغضُك كثيراً لأنّك عائقٌ دنسٌ وأعلم وتعلمُ أنّ لك نهاية!

أخبرهُ بأنّي أتسعّر نيراناً من كلّ شيءٍ حوله يراه ويسمعه، وأنّي أبغضُ كلّ من ينادي اسمه دوني، أخبره بأنّي جنونيةٌ في أنانيتي به وطمعي الجبّار على قلبه وأنّي ماردٌ في الغيرةِ وطاغوتٌ على كلّ من يقتربُ منه، أوصل له حبّي وأخبره بأنّه لو وُجد بائعاً يبيع لقاءاتِ الأحبة لَبِعتُ دمَ جسدي كلّه لأشتري ساعةً واحدةً بجانبه.

الحبّ للرّجال فقط

بدأتْ ترانيمُ الغيومِ في السّماءِ بمداعبةِ عشبِ الأرض فبدأ المطرُ يتقطّرُ قطرةً تلو الأخرى بهدوءٍ مُستدام، كان العاشقين بجوارِ بعضهما يتبادلانِ ويتسابقان في الحبّ وما إنْ أحسّت فتاته بالجوع أخبرته بذلك وأنّها تودّ أنْ تأكلَ من ذلك المطعم الذي يبعدُ عشراتِ الكيلو متر عن مقرّ مسكنه، نهضَ عن ساقيْه وأخبرها بأنّه سيغيبُ لبضع الوقت، لقدْ سارعَ إلى سيارته وكأنّه يُخبرُ السّماء أيّاً كانتْ طقوسكِ سألبّي لها رغباتها مهما بعدتِ الأميال.

بدأ المطرُ يشتّد حتى أغرقت الكثيرُ من الطرقات وقفلتِ العديد منها خوفاً على البشرية من الهلاكِ وسطَ انهمارِ هذا المطر و هو لا يزالُ مستمراً قاطعاً في طريقه كلّ صعوبةٍ من أجلِ حبيبته ، لم تتوقع هيَ غزارةَ هذا المطر فبدأ الخوفُ و اللّوم يجتاحُ قلبها على نصفها الآخر و بدأت دموعها تحنوا على خدّيها ذعراً من أن يُصابَ بمكروهٍ من شدّة هطولِ المطر فتختار الموتُ بعدهُ على ألاّ تصيبه بسوء وهيَ تسمعُ الأرصادَ تحذّر المواطنين من عدمِ الخروجِ في هذا الجوّ الماطر و ترى ضحايا المطر بدأ يتعالى نحيبهم.

أخبرتهُ بأنْ يعودَ ولكنّه أبى العودةَ إليها إلّا وهو محققاً رغباتها، يا إلهي على الحبّ حينما يتحدّى العواصف ويتغلبّ على رعودِ السّماء، يا إلهي على العشق حينما يسكنُ قلبَ الرّجل الذي يضحي لحبيبته بروحه وبدمه ملبيّاً رغباتها ومغنيها عن كلّ ما سواه.

لقد حاربَ بمالهِ وجسده كلّ ما وقفَ في طريقه لأجلِ أن يصل إلى مبتغاها فيجلبَ لها ما اشتهتْ من الطّعام، تحتَ سماءٍ ماطرة وغيومٍ ممتلئةٍ بالقطرات وطرقاتٍ أغرقتها المياه فأسقطتْ شجرها وعدمتْ رؤية العابرين، أبى أن يعودَ لها خاويَ اليدين وفي كلّ مرّةٍ تودّ أن تمنعه من ذلك قال لها: أو لستُ أنا وحيدك؟ من ذا غيري ليلبّي لك رغباتك؟ لقد عاهدتُ نفسي أن أغنيكِ عن كلّ رجالُ الأرض أنا لكِ أباً أنا لكِ أخاً أنا لكِ حبيباً وعاشقاً لن توقفه الأمطار.

لا يزالُ الجوّ شديداً بالريّاح والثلجِ المتساقط وأخيراً عاد العاشقُ إلى حبيبته، كانتْ تنتظرهُ عند بابَ منزلها والشّوقُ فاضحٌ في عينها ولهفتها لمجيئه، نزلَ من سيارته مبتسماً وكأنّ شيئاً لمْ يحدث، أتاها مسرعاً فرحاً برؤيتها مرة أخرى وعليه آثار قطراتِ المطر تغمر

ملابسه ووجنتاه، احتضنها بشدّةِ حبّ يُترجمُ لها بأنّ لا رجلَ غيري سيقفُ متحدياً قلبي في حبّك.

بدأ يُرسلُ لها رُسل عشقهِ وهما مبللّان تحتَ المطر حتّى أظلّته باحتضانها وصبابتها له ابتسم وعينه تتداخلُ في عينها ثمّ شدّ على كفيّها أنا معك للأبد، الحبّ يعني أن تُغني محبوبك عن دونِ ما سواك، الحبّ أن تُضحّي بنفسك وتفاجئك المواقفُ بصعوبتها فتجتازها مبتسماً رغمَ كلّ العواصفِ التي تحيطُ بك.

الحبّ أن تكونَ رجلاً غنياً عن الأقوالِ بالأفعال وأن تحتضن محبوبتك تحتَ غمراتِ الغرقِ مُثبتاً أنّك الوحيدُ الذي بجانبها، الحبّ أن تفعلَ وتفعلَ لمحبوبتك يا قارئي الحبّ للرّجالِ فقط.

اسكب له كوباً من العافية

ارحمْ ضعف حيلتي حينما أكنْ سجينةً للمواقف، اجبر بخوفي وتزعزع أمني حينما لا أستطيع الاطمئنان، وارفقْ بقلبي يا الله فلمْ يَعدْ يقوى على الالتئام بعدما مُزّقت شراييننه من كثرةِ الألمْ، فأنا أنتظرُ شفاء من سكنتْ له جوارحي وخفقَ لمرضهِ قلبي وتوجّع مراراً لئلّا يصيبه شيء.

بدى الأمرُ على مسمعي وكأنّه حلُم، أنا لا أُصدّق أيّ شيء من تلك الأقوال وإن رأتْ عينايَ ذاك الخبرُ بذاتها، بدأتُ في ضياعي لا أأبهُ لشيءٍ ولا تملكني ردودَ فعلْ، العالمُ كما هوَ يا نفسي لا يوجدُ شيءٌ تقلقين من أجله وأكررُ لنفسي تلك الجمل: لمْ يحدثْ شيءْ ربّما سوءُ فهمٍ منك فقط، نعمْ لمْ يحدث شيء، أبررُ لنفسي وأعلمُ أنّي كاذبة جداً بحقّ ذلك الخبر.

ما أسوأ أن تُبررّ لنفسك كاذباً عالماً بحقيقةِ الصّدمات التّي لن ترحمَ أو تشفقَ على صراخكَ ورعودِ بكائك، بدأَ الوقتُ يمضي دونَ حديثٍ منه، بدأتِ السّاعاتُ تتوالى والفراغُ مصطحباً الخوفَ ليملأن قلبي.

بدأتُ أشعرُ أنّها الحقيقة وأتيقنُ من مُرّ الألم الذي سوف أحياه، أجهشتُ بالبكاءِ عندَنا استيقظ قلبي من صدمته وبدأتْ أطرافي ترجفُ تخشى نوائبَ الدّنيا أن تجعلني بين عينيها منصّةً للتصويب. أينَ أذهبُ دونك؟ كيف لي أنا الآن أن أشعرَ بالأمان بعدما تأكدّت بأنّك تسكنُ تلك الأرائك البيضاء، كيف لي أن أهنأ في بطشةِ قدمي وأنا أعلم أن قدماكَ ممتدّة من الألم، كيف لي ألاّ أتألّم كلمّا نظرتُ إلى يدي وأنا أعلمُ بأنّ يدكَ ممتلئةٌ بالإبر ترجى الشّفاء وزوال الألم بقدرةِ الله؟

كيف لي يا عاشقي أن يهدأ لي بال ويغفى لي جفنٌ وأنا أشعرُ بأنينِ اهاتك وألمك على سريرِ المستشفى؟!

لستَ وحدكَ عليلاً، أنا معك هنا مريضة، أعلمُ بأنّ الانفصال في الشّعور بين العاشقين خيانةٌ ولقدْ أبدتْ جوارحي اليومَ لك وفائها لكنّها سجينةٌ ضحيّةٌ للموقف، أتمنّى لو أنّي التّي ترعاك، أشتهي السّهر بجانبك أعواماً وليس أيّاماً على راحتك، أودّ أن تكون يدي هي من تتألم حينما تشدّ عليها من ألمك، أودّ أن أسلبَ كلّ ما فيكَ من وجعٍ وقذفهُ إلى جهنمّ لكيْ لا يقتربَ منكَ أيّ مكروه!

أودّ ويا ليتني يا ليتني طبيبك! يا ليتني الاستطاعة أنْ أأخذْ جولةً فقط في هذه المشفى بحجّة العمل أو ما يكنْ أقسمُ أنّي لنْ أتركَكَ وحدكَ خلفَ الستائرِ البيضاء. سأظلّ بجانبك دوماً ولو اضطررتُ لأنْ أكونَ عاملةً للنظافة في مدّةِ مرضك ومكوثك في هذه المشفى.

جنوني بكَ يدفعني للهوس، أنا لا أثقُ بالطّب حينما أعشق، لا زلتُ أتساءل أكانَ ذاكَ الطبيبُ متفوقاً وأجادَ عمله؟

أكان الممرضين حولك يبدون اهتمامهم ورعايتهم بك؟

هل أحسنَ الجميع وجودك ومكوثك بينهم؟

لا زلتُ أتسائلُ وأبكي دماً متجرعةً ألم البعدِ لأنّي لا أستطيعُ رعايتك، وإنْ كنتُ لا أثقُ بالجميع .. أنا أثقُ بعينِ الله التّي ترعاك، أعلم بأنّ الله يستمعُ إلى تمتمتي ليلاً ونهاراً ويرى ضعفَ حيلتي، لقدِ استودعته إيّاك ألفَ مرّة مقسمةً عليه بأنّك أغلى ما أملك فلا تختبرْ صبري فيه، لقدْ أخبرته بأنّك لي كلّ شيءٍ بعده من لي في هذه الحياةُ أهنئ به إن أصابك ضرّ الدنيا؟

إنّي أبكي مراراً ومراراً، إنّي أتجرعُ ألمك آلافَ المرّاتِ بعدك وكأنّ الإبر التّي وُصلّت بيديكَ لتتعافى وُصلّت أيضاً بقلبي لأعيش معك كلّ لحظةً فهي إنْ وهبتكَ بعض الرّاحة آلمتني ألف مرّة لأنّي أراها

تجاوركَ وأنتَ بحاجتها، لا المشافي ولا الأطبّاءُ سيلبّون رغبتي بعودتكَ سالماً، لا عقاقيرُ الأدوية ولا بكائي عند مستشارين الطبّ سيشعرهم بألمي ومدى أهميتك في حياتي، فقط الله وحده يملكُ كلّ شيء.

فقط الله من سيلبسكَ ثوبَ العافية ويُعيدكَ لي كيْ أحتضنكَ بعد آلامك تلك، لا تقلق بشأن المرض سيأتي اليومُ الذي نتحدثُ عنه بصيغة الماضي .. لأنهُ لنْ يدوم .. لأنّه سيزول، ربّي إنّي استودعتك جسده وروحه أيا من لا تضيعُ عندهُ الودائع رجوتكَ أنْ تسكبُ له كوباً من العافية.

عقوقُ مشاعر

كلّما أمرتها بالقسوة وعدمِ الاكتراث وجدّتها أحنّ وأشفقُ من ذي قبل، كلّما وضعتُ لائحةَ أوامري لها لكيْ لا يمرضَ قلبي وجدّتها تفضّل المرضَ على عدم الاستسلامِ للقسوة، كلّما أُنهكتُ في الشّوق وكلّما أصابني وَهنُ الانتظار حلفتُ بالله ألاّ أسامحَ عقوق مشاعري، فلولاها لكنتُ بخير، لكنتُ أعدّ الآن إفطاري على أنغامِ الموسيقي الصّاخبة ثمّ أتلاهى عن ذاك الإفطار لـ زهرةٍ جذبني لونها الكميتيّ فتغدوا روحي طفلةً لا شيبةً قبل أن يحينَ المشيب.

أمّا الآن فأنا أتكئ على عكّاز الصّبر وكلّما انتظرتُ أكثر وجدّت عكازي قوّي إلى أن أستغني بنفسي عن الجميع، فمن تغلّب على عودةِ عاشق سيتغلّب على كلّ ما دون ذلك، فإن كنتَ منهم يا قارئي هنيئاً لك فلا خوفٌ عليك بعد الآن لقدْ خُضتَ أصعبَ ما قد يخوضه قلبُ الإنسان أتتوقعُ أنّ بعد ذلك ألماً قد يُصيبُ قلبك؟! لماذا كانَ المشيبُ لونه أبيض؟ من المفترضِ أنْ تكون جميع حياتنا بيضاء في الطّفولة ثمّ تسودّ شيئاً فشيئاً كلّما كبرنا لأنّ المشاعر تعقّنا.

أو كان ذلك المشيب يبيضّ شيئاً فشيئاً لأنّ الحياة ستصبحُ أسهل فيما بعد، إذا كان المشيبُ سيجعلُ أيّامي ثلجيةً بيضاء فأهلاً بالمشيبِ في عُمرِ العشرين وإنّك يا مشاعري ستقفينَ خصْمي أمام الله في عقوقك أوامري وتعدّيك ضعفي، وما الأصعبُ من عقوقها إذ خالفت أوامري بأن لا تشتاق فإنْ تمكنتْ منّي واشتقتْ جاءت دموعي ملبيّة قلبي تودّ البوح جلبتي لي الأسى فمنعتيها من النزّول، ألا بعدَ تجبّر عقوقك على قلبي أتنتظرين منّي أن أسامحك؟ لا وإنّ المسامحةَ في حقّ الظالم ظلمٌ آخر، حينما يسألوني عن سببِ مهالكي في انتظارك سأخبرهم بأنّي امتلكت عقوقَ مشاعر.

وسادة المُعجزات

أخشى أن ينتهي العالم ولمْ يجمعنا كوبُ قهوة، أخشى أن تجزع قدماي على الوقوفِ من الشيخوخة ولم تجمعنا رقصةُ العشّاق بعد، وأخشى أن يُمددَ جسدي فوق النعش ونحنُ اللذّان لمْ تجمعنا شُرفةٌ واحدة، بداخل صدري أمنيةٌ حلّقت إلى السّماءِ السّابعة وباتتْ عند عرشِ الرّحمن تنتظرُ كتابتها في القدر.

ألا وإنّ هي كلّ أمانيّ يا الله ألا فقل لها "كُنْ" لتكن لي تلك الأمنية الصغيرة لدى قدرتك الكبيرة لدى عبدتك، أعلمُ بقدرتك على طوي السماوات والأرض السّباع وأعلم بقدرتك على تسخير الشّمس لأصحابِ الكهف، أعلمُ بجبروتك على فرعون ورحمتك على أمّ موسى بطفلها، أعلمُ بكلّ شيء ومن يخفى عليه عِظام آياتك؟

أودّ أن تكون لي آيةٌ أبكي لها فرحاً وأحادثُ النّاس لحدوثها طرباً ثم أركضُ باكيةً ساجدةً لك على وقوعها، أودّ تملّك هذا الشّعور بأنْ يُسّخرَ لي جُندٌ من جنودك فأحصل على مرادي من بعد مشيئتك على يداه.

إلهي أخبرني الجميعُ بأنّني أعيشُ على الأوهام وأنّي أتقلبّ على وسادةِ المعجزات التي انتهت، أنا لا أتقلّب إلاّ على الأمل والوثوق بك وبقدرتك ألا تنْلني عبداً أحبّه قلبي فيك وحجزتْ بيني وبينه نوائبُ الأيّام؟

متصلان رغمَ بُعد مكاننا، قلوبنا أبديةٌ في حبّها لا تستسلمُ للقانون، أشعرُ به كما يشعرُ بي وأعلمُ بشوقهِ كما أشتاق له، لمْ تغفى قلوبنا ثانية عن تلك القدرة الإلهية التي بإمكانها أن تجمعنا ولكنّا بنوا آدم وكان ابن آدم عجولا، ربّي إنّي استودعتك أمنيتي التي يفيضُ لها دمعي كلّما زارني الحنين، فارحم بقلبي وأنتَ أرحمُ بالطّفل من أمّه.

عيناه مزيجُ ذئبٍ وملاك

في أوّل مرةٍ وقعتْ عيني بعينه أحسستُ بأنّ الكرة الأرضية قدْ تَلفتْ وذبلتْ حلاوة هذا الكونِ في عيني من بعده، عيناهُ شمسٌ إنْ أطلتُ النّظرَ بها كسفتني حلاوتها فأجبرتني على إنحاءِ رمشي له تعظيماً، عيناه نيزكٌ أحرقني ويا لجمال هذا النيزَك لقد ألهب صدري حبّاً وعشقاً فزادني ذلك لهفةٌ للتّعرفِ عليه أكثر، أتدرون؟ عيناه كوكبٌ أقسمتُ أنّي له رائدةُ فضاء.

تبدوا حدّتها كسهمٍ يرجفُ بقلبي صبابةً وهياماً، تبدوا تفاصيل هذه العينانِ مميزةٌ جداً داخلي، أنا لمْ أرَ مثلَ هذه المُقْلتانِ من قبل، ربما رأيتُ أعيناً كثيرة لكنّ جاذبيتك تلك لمْ ولنْ تُخلقَ لرجلٍ بعدكَ سيدّي، تلك العينانُ التي تأسرني بين لمعانها وتُقيّدني بين مخالبها أحبّها كثيراً، هي أشبهُ بحدّةِ ذئبٍ في جاذبيته؟

هي أشبهُ بستائرِ ليلٍ في سوادها وفخامتها؟

هي أشبه بنورِ قمرٍ في بياضها؟

بلْ هي شبيهةٌ لـاللّاشبيه يا قارئي فتلك الأعينِ ممزوجةٌ بين اثنين ما بينَ ملاكٌ مُجنّح وذئبٌ جذّاب، لكَ أنْ تتخيّل كيفَ تمتزج نورُ الملائكةِ بحدّة عيونِ الذّئاب، لمْ أتيقن بأن عيناكَ يا سيدّي إنسانيةُ الخِلْقة فلقد تخالطتُ بالبشرِ عشرون عام لكنّي لمْ ألمح تلك الصّفات من قبل!، كلِي يقينٌ بأنّ هذه البشرية تغار من عينيك الفاتنة أن كيفَ لبشرٍ تملّك هذه الصّفاتُ السّمائية؟!

وكأنّ الله يا عاشقي وضعَ نصفَ جمالِ الأرضِ ليوسف عليه السّلام ووضعَ الآخرَ لعينيك التي افتتنتُ بها، سلامٌ من الله و أمانه باستوداعي له عيناك يا رائدي فلقدْ أُغرمتُ بها كثيراً و أنا لتلكَ العينان حارسةٌ أبديّة.

دائرة من الجحيم المتوارث

ينهزمُ الكونُ لحزنك سيدّتي ويَسعدُ لمحيّاك، الكونُ أجمعه يذرفُ دمعه لأجلك ولك، هذه الكرة الأرضية تتفطّر ألماً وتتشقّق وجعاً لآهاتك ليلاً والنّاسُ نيام.

لفتتني تلك المسافرة عن أرضها حينما التقيتها في أرضٍ جدباء أثناء رحلتي لصيد الوعول أعلى الجبل، تعجبتُ من أمرها أن كيفَ لفتاةٍ جميلة أنْ تجلس هنا بين أشواك النباتات ويداها متسختان من زيْتِ النبتةِ السّوداء بلْ وإنّ فستانها الرّقيق قدْ تمزّقت وروده من حدّة الصّخر، حدّقتُ النّظر بها لأسألها عن حالها فرفعتْ كفها لي منعاً من النظر.

قفْ عنّي ولا تسألني عن سببِ رحيلي، أنا هنا لأستعيدَ نفسي، اشتقتُ إلى نفسي تلك، التّي لا تأبهُ للحياةِ برّمتها!، اشتقتُ إلى نومي الذي كان يخلو من دموعِ الشّوق واشتقتُ إلى قلبي الذي كان لا يعرفُ نيران الغيرة! أوّاه أيتها السّماء لمْ أشعر بالأسى هكذا في حياتي لمْ أشعرْ بأنّ هناك سجّاناً يقودني إلى زنزانةٍ خاطئة لستُ من المفترضِ أن أكون أنا بها.

انتهتْ حياتي القديمة وودّعتها بدموعِ الشّوق ودّعتُ جُمودي وصلابتي في انهيار المشاعر، ودّعتُ التنين الذي كان يسكنني وهو الذي كان يقذفُ بالنّاسِ نيرانه ولستُ أنا من يقذفونني بها، أيّها الصيّاد أكملْ طريقكَ حيثُ تجدُ وعولك، لن تفيدكَ قصّتي بشيء العالم هذا كلّه مخطئٌ بحقّ الحبّ، أثنى الصيّادُ رُكبتيه على الأرضِ قائلاً: ربّما ستفوتني الوعولُ اليوم لكنّي لا أودّ أن أكونَ من ذلك العالمُ الذي أوجعك، أرخى بُندقيته عن ظهره ونحاها جانباً ورفعَ عن عينيهِ نظارة الحماية حتّى تكون العينان أقربَ سبيل يشفي به قلبَ ضائعة.

لقدْ وُلدّت في موطنٍ يُعدمُ الحبّ فيه شنقاً ويُجرّ العاشقُ فيه سجيناً وتحتبسُ فيه الحبيبةُ قضيةٌ مأساويةٌ لا تنتهي بينَ ملفاتِ القضاء، لقدْ عشتُ بين أناسِ مدينتي فكنتُ عاشقةً بينهم في الخفاء كمن قتل قاتلاً فأخفى جريمته وتلوثّ دماء ضحيته عن عيون البشر.

كنتُ أيّها الصيّاد أُخفي حّبّي لكيْ لا ينعَتُني النّاس بالفاسقة وكانَ عاشقي يخفي حبّه لي لكيْ لا ينعتونه بالذئب الذي لا يشبعُ إناثاً! لمَ تلك الصّفات التي وقّع عليها إبليسُ أدمغتهم لتكونَ وصفاً لكل حبيبين أولعها الحبّ العفيف؟

لا وإنّ ملاحقةَ البشريّة التطفليّة لكلّ عاشقين والترّقبُ عليهما أصبحتْ تشمئزُ منها نفسي وكأنها صفةٌ للقردة الخبيثة أيّها الصيّاد أراها حولي، أيّها الصيّاد سأفرغُ لكَ وَهني وضعفَ حيلتي، في مدينتي يُدفنُ الحبّ حياً ولا يموت، إنّي أرى الفتى داخل مدينتي يظلّ عاشقاً وافياً حتّى ما يحينَ عمره للتزاوج أُرغمَ بفتاةٍ لا يعرفها لكيْ يُكملَ حياته معها.

وإنّي أرى الفتاةُ باكيةً وافيةً قدْ عفّت نفسها عن جميعِ المُلهيات وتركتْ هذا العالمُ برمته من أجل انتظارِ حبيبها لتتفاجأ بأنها سترغمُ على الزّواج من رجلٍ لا تعرفه، في مدينتي أيّها الصيّادُ تزاوجٌ عقيم! في مدينتي يظنون بأنهم يخمدونَ نيران الحبّ بالانشغالِ بعلاقةٍ جديدة و لا يدرونَ بأنّهم ازدادوا عُتوّاً في الأرض لأنّه بذلك سيتفشى في مدينتي الظّلم.

كمْ من زفافٍ أيها السّامع لي كانَ عزاءً على عروسيه، كمْ من فستانٍ خُيّط للعروس كان كفناً تزّف به إلى رجلٍ لا تعرفه ولا تعرفُ ماضيه ليرممّ أهلها كسرها ويكون عذرهم بأنّه رجلٌ صالح للزواج فقط من اسم قبيلته!!

كمْ من عريسٍ كُسرَتْ أوتار قلبه نزفاً على محبوبته التي تركها خلفه لذكرٍ سيتمتع بها غيره! وكلّ أعذارِ أهلهِ الواهية تخبره بأنها الفتاة التي ستصونه وهمْ بالكادِ أعجبوا بها لمظهرها فقط، يا إلهي لقدْ تفشّى الظّلمُ في مدينتي فأصبحتْ جيناتهُ القذرة تتوارثُ يوماً بعد يوم لجيلٍ بعدَ جيل، وربّما يعيشُ المرءُ قصّة عشق فيسلك هذين الطريقين الموجعة ويتجرع صبابة الموت من ألم الفراق ثمّ إذا ما جاءه ولدُ أو فتاة نسي ما كانَ يحياه من ألم فجعلهم يسلكونَ نفس الطّريق الذي سلكه، ألمْ أقلْ لك أيّها الصيّاد أن الظّلمَ في مدينتي متوارث؟ وأنّ الأولياء لا يشفقون على الأبناء بلْ يُجرعونهم حليبَ الموت كأساً تلو كأس؟

لقدْ ظُلمتُ في قصّة عشقي وتجرعتُ مرارة الصّبر حتى انتفختْ أوردتي وجفّت دمائي لتعلن الموت الدائم للحظّ، لقدُ أحببتُ وعشقتُ وتهتُ في صبابةِ محبوبي تلثمّاً واستهاما.

لقدْ بتّ في أحضانهِ أيّاماً فكانتْ تلكَ رحلتي للفردوس والتّي عدتّ منها لمدينتي إلى دار الجحيم، وحينما نتجرّدُ من خيالنا وليلتنا الهادئة في ساعَةِ العشق نرى بأنّ كلّ ما نتجرعه هيَ جُذوعِ شجرِ الزّقوم لا أكثر! وأنّ جنودَ القانونِ يلاحقوننا بالقبضِ علينا متلبسّين بقضيّة الحبّ.

أعيشُ في مدينةٍ سكّانها مُختلونَ عقلياً وشاعرياً قارئي!، أنا على يقينٍ تام بأنّك لن ترى مثل هذا التخلّف في مدينةٍ أخرى لذلك قررتُ الرّحيل عنهم فهل تمدّ لي يديك بالبحثِ عن مدينةٍ تُقدّس الحبّ؟

أبحثُ عن مدينةٍ سكّانها يصنعونَ تمثالاً للحبّ تقديساً، أبحثُ عن أشخاصٍ لا ترْغمُ ذويها بالتّزاوج فقط لكي يقال عنهم تزوجوا في مرحلةٍ مُبكرة فأولئك الطاهرون، أبحثُ عن قبائلٍ تنعتُ العاشقَ بالوافي الذي إذا وعدَ وفى وتنعتُ العاشقة بالصّابرة التّي إن صبرت صبرت للألف عام فقط لتنالَ مُرادها.

أبحثُ عن قلوبٍ نقيّة تُصفّق للحبّ تشجيعاً لا قلوبٌ تسعى للتّفريق وعذرها أنّ الحبّ لا يدوم، أبحثُ عن نهجٍ جديدٍ في الحبّ فلقدْ سئمتُ وسائلهم وأعذارهم التافهة بأنّ الزّواج هو نسيانٌ

لكلّ قديم وانشغالٌ عن كلّ عشق، فلو كان الزّواج انشغالُ القلبِ عن الحبّ ومحبوبته لما باتتِ الخيانةُ أجمل شعور خلف أعشاش الطّيور المتزاوجة!!

لقدْ باتتِ الخيانةُ خمراً لذيذاً في مدينتي الجميعُ يهرعُ إليه لأنّهم بحاجتهم لها! ولو أنّك أيّها الظّالم سمحتَ لي بأن أتشارك حياتي مع من أحببتها و لمْ ترغمني بمَ اخترتَ أنت لما كان لجوئي للخيانة أمراً عشقته هكذا!

لقدْ ظلمتني لأنني الآن أصبحتُ خائناً، لقدْ ظلمتَ خلفي عشيقةٌ أحبتنّي حتّى الموت، ولقد ظلمتَ مسمى الزوجية لي باختيارك لي فتاةٌ على هواكَ لا هوايَ يا والدي!

نحن نحيا في دائرةٍ من الجحيمِ المتوارث، نحنُ ندفنُ الحبّ بالزّواج ولكنْ سريعاً ما ستعودُ علينا لعنةَ الحبّ معلنةً الانتقام لِتقودكَ إلى الخيانة اللذيذة، وإنّي لأؤيّدُ هذه الخيانةُ اللذّيذة لأنّها المفرّ إلى الرّجوع للحبّ الصّادق، لأنّها الحبّ ذاته ولكنّهم غلفوها بمسمى الخيانة لينفرّوا العاشقين من الرّجوع إلى المواصلة حتّى نيْلِ مُرادهم مع عشّاقهم، تذّكر يا قارئي بأنّ ليس كلّ زّواج سعيد وتغمرهُ لذّة الارتباط.

في مدينتي الزّواج مقبرةٌ للكثيرين أُرغمَ ساكنوها على الدّفن بسببِ أولياءِ أمورهم فكلّ أمواتِ هذه المقبرة قدْ سلكوا طريقين، منهمْ أمواتٌ ساروا على النهج فاستسلموا لسمّ الشوقِ إلى محبوبهم القديم! ومنهم أمواتٌ لجئوا إلى الخيانةِ اللذيذة التي بأصلها عرّفها الباحثون " بأنّها المرحلة التّي ستجدُ فيها حبيبك ونصفك الآخر بعدما تُوقعك الظّروف في مقبرةِ الزّواج".

فإن كنتَ ممنْ وجدَ الحبّ الذي يدّق له القلب ويهطلُ له الجبينُ عرقاً بعدما وقعتَ في مقبرةِ الزّواج فلا تخجلْ بينَ قومكَ وسرْ قائلاً: الخيانةُ اللذيذة حقٌ من حقوقنا بلْ هي طريقُ عودتنا إلى الحبّ الحقيقي، الحبّ الذي يختاره قلبنا فيتضطرب في دقاته لأوّل وهلةٍ يرى شريكه فيها، الحبّ الذي نعرفهُ بعدمِ السيطرة على قلوبنا حينما تقعُ عينانا بعين من نحبّ، الحبّ الذي يُولّدُ اللهفةَ بداخلنا للتعرّف أكثر عن نصفنا الآخر إعجاباً وطرباً به بعد سعيٍ طويلٍ للقياه.

الحبّ الذي تركض الرّوح له شغفاً وتحاربُ الأنفاس إلى احتضانه شوقاً، ذلك الحبّ الحقيقي الذي تختاره قلوبنا لا الذي يُوجهنا إليه الغرباء، أيها الرّحال ابحثُ لي عن دولةٍ تضعُ في قوانينها الحبّ كسلامٍ ملكيّ لا يجهله أحد.

تُراوِدُنِي أحداثُ العالمِ

وإنّي قدْ مُيزّتُ في المنامات ولكلٍ منّا قدرته الخاصّة التي قدْ تكون خارقةً للعادة والطبيعة، وإنّي أحيا في مناماتي ما بينَ هلعٍ ورجاء، هلعي بأن تقعَ تلكَ المناماتُ المزعجة لذهني ورجائي بأن تكتبَ لي تلك المفرحاتُ التي وعدني الله بها في مناماتي، لقدْ أهلكني الحَدَسُ المناميّ يا قارئي وأرهقَ جفوني حتّى كرهتُ سريري ومخدعي، أتطيقُ أنْ تتنبأ بأخبارِ الموتى قبل موتهم؟

أتطيقُ أن ترى نفسك واقعاً في مصيبةٍ منغمراً في دموعكَ وبكائك في منامك فتصحوا من نومك وترى نفسك كما كنت منذ قليل؟

أتطيقُ بأن ترى المستقبل عبر مناماتك كانَ مزعجاً أو مبهجا؟

أنا لا أطيقُ ذلك يا قارئي لأنّ المشفى لم تُدرج هذه الحالة تحت مسمى الأمراض لكي يتم علاجها، ولو أنّها كانتْ مرضاً لارتاح ذهني وسكنت جوارحي لأنّي سأبحثُ عن الطبيبِ الذي سيعالجني، لكنّها فوبيا الأحلام أيها القارئ.

لقدِ اخترتُ من بين كل هؤلاء لأتنبّأ بأحداثِ الأيّام، أصبحَ الواقعُ مملاً جداً لي يا صاحبي لأنّه بالنسبة لي إعادةُ مشاهدة الفلمِ التي رأيته في منامي، وكأنّ المشاهدة الأولى لي حينما أضعُ رأسي على وسادتي وكأنّ إعادةَ كلّ هذه الأحداث حينما أفتحُ عينيّ في هذه الدنيا الظالمة، إنّي أرى الجميعَ في اندهاش في اللحظةِ الأولى حينما يصيبهم أمر وإنّي أرى نفسي في قمّة الجمود، تُمطرُ عليّا سهامهم باللّوم بعدم التفاعل لحدوثِ أمرٍ ما ولسانُ حالي ينطق: أنا على علم بما يحصل، أنا على يقين تام بكلّ هذه الأحداث التي ستقع فلمَ الانفعال؟

يُحزنني بأنّ كل تلك الكوابيسِ التي راودتني تحققتْ وبقيتْ المنامات الورديّة محتفظةً بنفسها في القدر، لا تكوني أنانيةً عليّا أيتها الأحلام، أنا بحاجتك، أنا أرتدي الضعفَ والهوان هلّا مددتي لي العونَ ولو كان تحقيقاً لحلمٍ واحدٍ؟

أعلمُ بأنّك زرتيني كثيراً في سكونِ جفني وأعلمُ بأنّ القدرَ يحملُ تكدّساً من الأحلام الجميلةِ التّي رأيتها لكنها لا تزال بعد مرفوعةً بعيدة عنّي، مناماتي ليستْ مُقتصرةً قطّ على أحداثِ نفسي.

أنا على علمٍ تام بما سيحدثُ حولي لـ أصدقائي وأهلي وحتى الغرباء!
أنا على رعبٍ تامْ أو على سعادةٍ كبرى مما سيحدثُ ممّا أرى، فإن كانَ مناماً سارّاً صحوتُ أتهللّ أوزع تطاريف الفرح في الكون حتّى تهدى الحقيقة لنا، وإن كان خبراً سيئاً بتّ في سريري أرجفُ صامّةً أذناي وكلّي خوف بأنْ يصلني ذاك الخبر الذي راودني بأنّه سيقع!
إلى أحلامي السيئة التي وقعتْ .. أيّتها الحمقاءُ البائسة لنْ توقفي طريقي ولن تضرّيني بشيء وإن كان تحققك في واقعي ألماً تدمعُ له عيني، لنْ تستطيعي تقييدي فلقدْ تراودتِ في الفتاة الخاطئة .. أنا لا أتوقف فأنا أتخيّر الموتَ على الانسحاب، إلى رؤياي الخيالية وإلى المناماتِ الزّهرية إنّي أحبّك، فهلْ يَتركِ الحبيبُ حبيباً سهرَ على لقائه؟
اقتربي منّي لعلّي أخرجُ من فوبيا المنامات وأحب هذا الكون، ادنوا منّي وتنزلي عليّا بتحققك ألمْ تُوعديني في المنام بأنّك ستأتين؟
إليكِ يا أحلامي الوردية .. أنا بانتظارك، أنا على يقينٍ تام بأنّك حاضرة ولكن حينما يشاء الله، في كلّ مرّةٍ سألتكِ عن سببِ تأخرك لكنّك لم تنطقي وتجيبي عليّ، لا أعلمُ لمَ تُخفين عليّ حقيقةَ

تأخرّك لكنّي على يقينٍ بأنّك تنتظرين الوقت المناسب الذي ستبكينني فيه فرحاً!

أعلمُ بأنّ حنانك سيجعلني أتطاير بين النّاسِ باسم محبوبي طرباً، أعلمُ وأعلم واليقينُ يملأني ثقةً بك وبحدوثك أعدكِ بأنّك بعدما تقعين سأبوحُ للجميع بأنّك كنتِ لطيفةً معي وأنّك لمْ تخذليني، سأحدّثهم عنك بأنّك كنتِ مميزةً جداً لأنّك وعدتيني بتحقيق المستحيل وحققته، أعدكِ بأن أجعل الأحلام مادةً تدّرس في جامعات العالم وأن أجعل الصغير قبل الكبير بأنْ يُؤمن بك، أعدك ولكن، اقتربي منّي فأنا بانتظارك.

الخاتمةُ

لقد انتهتِ الأسطُرُ يا قارئي ولكنَّ الحُبَّ لم ينتهِ بعد ..

لقد أغلقت طيات هذا الكتاب لكني أعدك بصفحاتٍ أخرى تشفي من غليلِ عِشقِكَ .. تبُوحُ أقلامُنا والصُّدُورُ مُمتلئةٌ، أتظنُّ يا قارئي أنَّ قراطِيسَ العالم هذه تكفيني؟

لا والذي فطرَ الحُبَّ في قلبي إني لأشتهي الكتابة كما أشتهي الماء ..

قارئي .. إليك وصيَّتي من زنزانتي البيضاء هذه ..

عاشِقِي .. إن كُنتَ ممن يعثو في الأرضِ فساداً باحثاً عنِ الأفضلِ:

تذكَّر بأنك ستتزوَّج فتاةً أفسدها غيرُك ..

سيدَّتي .. إن كُنتِ ممَّن لا رأيَ لهم فلا داعِي لأن تعبثي بقلبِ رجلٍ أحبَّكِ واختاركِ زوجةً له؛ لأنك ستتزوَّجِين رجلا قلبه مُغرمٌ بفتاةٍ غيرِك ..

أشكرُ لك تجوُّلك بين زنزانة وسجناء أبرياء أبرحتهم تباريح الحُبِّ بين بوحٍ وألمٍ وفرحٍ ونغمٍ ..

هنا داخل: (جريمة لا يسجنها قانونٌ).

براءةٌ لكلِّ عاشقٍ سُجنَ في زنزانةِ الأبرياءِ.

الفهرس

الإهداء	7
مقدمة	9
الغِيابُ لا يُكتبُ مرَّتينِ	13
مسكنُكَ في مودَّتِكَ	17
حيتانةُ قلبِكَ	19
ينقُصُني وَتَرٌ	23
أنتَ بصِيرتي	25
طاغيةٌ في سُلطتِها	27
تحتَ أجنِحةِ حبِّكَ	29
عظماءُ يُذابُ لهمُ الجليدُ	33
كمالُ جندِيٍّ	35
مُحامِي إبليس	37
شيطانُ الضَّعفِ	39
ماكِرٌ في عقِيدةِ القُوّةِ	41
تاجِرُ الحظِّ	43

عَينانِ منَ نَهْرِ الكَوْثَرِ	45
عذِّبها بما ليس ملكاً لها	47
خُرافةُ الإخوةِ الأوفياءِ	49
رائد الحبِّ	53
ساحرٌ بالفطرة	57
عاشقةٌ في العيادة النفسية	59
موطن لم يوضع على الخارطة	63
وجدتك رجلاً	65
ظلّ ركوعهم	67
شبحان لن يتفقا	69
ذنبُ توبتي	73
زنزانةُ الإسطبل	75
ألاّ تلاقيا	77
نصفهُ حُلماً وآخر حقيقة	79
الشهرة ملاذُ السّفهاء	81
تحت خطّ الفقر	83
بطَلَةُ سيناريو حقيقيّ	85
موج عيناها أزرق	87

عناية قلبٍ فائقة	89
لِتَخُضْ التّجربة	91
سنموتُ على رائحة الحبر	93
وُلدتْ من أجلهِ الشّمس	95
يسكنني بومٌ راحلٌ	97
هيهاتَ للبُعد	103
ماردٌ في الغيرَة	107
الحبّ للرّجالِ فقط	111
اسكب له كوباً من العافية	115
عقوقُ مشاعر	119
وسادة المُعجزات	121
عيناه مزيجُ ذئبٍ وملاك	123
دائرة من الجحيم المتوارث	125
تُراوِدُنِي أحداثُ العالمِ	133
الخاتمةُ	137
الفهرس	139